محمود شلبي

حياة مصعب بن عمير

دار الجيل
بيروت - لبنان

حياة مصعب بن عمير

محمود شلبي

دار الجيل
بيروت

الطبعة الثانية
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

الإهداء

اللهم... منك... وإليك

محمود شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله... حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه...

والصلاة والسلام... على رسول الله... صلاةً طيّبة مباركاً فيها...

وبعد... فإن « مُصْعَب بن عُمَيْر » ينفرد بصفة عُليا... هي صفة التجرُّد لله...

دخل الإسلام شابًّا... واستشهد شابًّا...

أسلم وهو في عُمر الزهور... كل أسباب الزينة والمتعة بين يديه...

شباب... مال... حَسَب... نسَب... جمال... تتمناه غانيات مكة وجميلاتها...

فألقى ذلك كله... وراء ظهره... وأقبل على الله في تجرّد تام...

وعاصر الدعوة وهي في أصعب ظروفها...

تعذيب... استضعاف... سخرية... اضطهاد... تهديد... تشريد...

فاحتمل... وهو يتبسَّم... راضيا!!!

ثم هاجر الى المدينة... وشهد بدْراً...

ثم خرج في أُحُد... يحمل اللواء... حتى استشهد!!!

وكان في نحو الأربعين؟!!

استشهد في سنّ الزهور... كما أسلم في سنّ الزهور!!!

« فيه نزلت وفي أصحابه: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عليهِ... ﴾

[الأحزاب ٢٣]

تجرَّدَ في حياته لله... وتجرَّدَ في مماته لله!!!

« عن خبَّاب قال: هاجرنا مع رسول الله... ﷺ... نبتغي وجه الله عز وجل... فوقع أجرنا على الله...

«فمنَّا من مات لم يأكل من أجره شيئاً...

« ومنَّا من أينعت له ثمرته فهو يهْدِبُها...

«وإن مُصعَب بن عُمَير... مات ولم يترك إلا ثوباً!!!

« كان إذا غطَّوا رأسه خرجت رجلاه!!!

« وإذا غَطَّوا به رجليه خرج رأسه!!!

« فقال رسول الله... ﷺ: غطوا رأسه... واجعلوا على رجليه الإذْخِر »!!!

ذلكم مُصْعَب؟!!

ذلكم بطل التجرُّد لله ».

محمود شلبى

القاهرة في ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م

الخطوط العريضة...
من حياة...
مُصعَب بن عُمَير... ؟!

ورد في « أُسْد الغابة... في معرفة الصحابة » خطوط عريضة عن حياة الصحابي الجليل... موضوع هذا الكتاب...

نثبته ها هنا اعترافاً بالفضل لأهله...

ووصلاً للماضي بالحاضر...

فمن كان يأنس بالتراث فها هو التراث بين يديه...

ومن كان يريد أسلوب اليوم... ولغة العصر... فذلك موضوع الكتاب ان شاء الله...

مُصعَب بن عُمَير

« مُصْعَبُ بن عُمَير بن هَاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيّ ابن كلاب بن مُرَّة القرشي العَبْدري، يكنى أبا عبدالله.

كان من فضلاء الصحابة وخيارهم، ومن السابقين إلى الإسلام. أسلم ورسولُ اللهِ ﷺ في دار الأرقم، وكتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه، وكان يختلف إلى رسول اللهِ ﷺ سِراً، فبصر به عثمان بن طلحة العَبدَرِيّ يصلي، فأعلم أهله وأمه، فأخذوه فحبسوه، فلم يزل محبوساً إلى أن هاجر إلى أرض الحَبشة، وعاد من الحبشة إلى مكَّة، ثمّ هاجر إلى المدينة بعد العقبةِ الأولى ليعلّم الناس القرآن، ويصلي بهم.

أخبرنا عُبَيد الله بن أحمد بإسناده إلى يونس بن بُكَير، عن ابن إسحاق،

عن يزيد بن أبي حبيب قال: لما انصرف القوم عن رسول الله ﷺ — يعني ليلةَ العقبةِ الأُولى — بعث معهم مُصعَب بنَ عُمَير.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أن مصعب بن عمير كان يصلي بهم، وذلك أن الأَوس والخزرج كره بعضهم أن يَؤمَّه بعض.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عبيد الله بن أَبي بكر بن حزم، وعبيد الله بن المغيرة بن مُعَيقيب قالا: بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير مع النفر الاثني عَشر الذين بايعوه في العقبة الأُولى، يُفَقِّهُ أَهلها ويقرئُهُم القرآن، فكان منزله على أَسعد بن زرارة، وكان إنما يسمى بالمدينة المقرئ، يقال: إنه أوَّل من جمع الجمعة بالمدينة، وأسلم على يده أُسيد بن حُضَير وسعد بن مُعاذ. وكفى بذلك فخراً وأَثراً في الإسلام.

قال البراءُ بن عازب: أوَّل من قدم علينا من المهاجرين: مُصعَب ابنَ عُمَير، أخو بني عبد الدار، ثمّ أَتانا بعده عمرو بن أُم مكتوم، ثمّ أَتانا بعده عمَّار بن ياسر، وسعد بن أَبي وقاص، وعبدالله بن مسعود، وبلال، ثمّ أَتانا عمر بن الخطاب.

وشهد مصعب بدرا مع رسول الله ﷺ، وشهد أُحداً ومعه لواء رسول الله ﷺ، وقُتلَ بأُحد شهيداً، قتله ابن قَمِئَة الليثي في قول ابن إسحاق.

أَخبرنا أَبو جعفر بإسناده عن يونس، عن ابن إسحاق، فيمن استشهد من المسلمين من بني عبد الدار: مصعب بن عمير بن هاشم، قتله ابن قَمِئَة الليثي.

قيل: كان عمره يوم قُتلَ أربعينَ سنة، أو أكثر قليلاً. ويقال: فيه نزلت وفي أصحابه من المؤمنين: ﴿**رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيه...**﴾ [الأحزاب ٢٣]

وروى محمد بن إسحاق، عن صالح بن كَيسان، عن بعض آل سعد، عن سعد بن أَبي وقاص قال: كنا قوماً يصيبنا ظَلَف (خشونة) العيش بمكة مع رسول الله ﷺ، فلمَّا أصابنا البلاءُ اعترفنا، ومررنا عليه فَصَبَّرنا،

وكان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة، وأجوده حُلَةً مع أبويه، ثمَّ لقد رأيته جُهِد في الإسلام جهداً شديداً، حتى لقد رأيت جلده يَتَحَشَّف (يتقلّص) كما يَتَحَشَّف جلد الحية.

وقال الواقدي : كان مصعب بن عُمَير فتى مكة شباباً وجمالاً وسَبيباً (ثوباً رقيقاً)، وكان أبواه يحبانه، وكانت أمّه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب، وكان أعطرَ أهل مكَّةَ، وكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول : ما رأيت بمكة أحسن لِمَّةً (شعر الرأس)، ولا أنعم نعمة من مُصْعَب بن عُمَير.

أخبرنا إسماعيل بن علي وغيره بإسنادهم عن محمد بن عيسى : حدَّثنا هنَّاد، حدَّثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، حدَّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظي، قال : حدَّثني من سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : إنا لجُلُوس مع رسول الله ﷺ في المسجد إذ طلع علينا مُصعَب بنُ عمير، وما عليه إلا بردة له مرقوعة بفَرو، فلمّا رآه رسول الله ﷺ بكى للذي كان فيه من النعمة، والذي هو فيه اليوم. ثمّ قال رسول الله ﷺ : كيف بكم إذا غدا أحدكم في حُلَّة وراح في حُلَّة، ووضعت بين يديه صحفَة، ورُفِعت أُخرى، وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة؟! قالوا : يا رسول الله، نحن يومئذ خير منّا اليوم، نتفرّغ للعبادة، ونُكْفَى المُؤْنَة! فقال رسول الله ﷺ : أنتم اليوم خيرٌ منكم يومئذ.

قال : وأخبرنا محمد بن عيسى : حدَّثنا محمود بن غيلان، حدَّثنا أبو أحمد، حدَّثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن خَبَّاب قال : هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله عز وجل، فوقع أجرنا على الله، فمنَّا من مات لم يأكل من أجره شيْئاً، ومنا من أينَعَت له ثمرَتُهُ فهو يَهْدِبُها وإن مُصعَب بن عُمَير مات ولم يترك إلاَّ ثوباً، كان إذا غَطَّوا رأسه خرجت رجلاَه، وإذا غَطَّوا به رجليه خرج رأسه. فقال رسول الله ﷺ : غطوا رأسه، واجعلوا على رجليه الإذخر (حشيش معروف طيب الرائحة).

أخبرنا أبو محمد بن أبي القاسم الحافظ كتابة، حدَّثنا أبي، حدَّثنا أحمد

ابن الحسن، حدَّثنا أبو الحسين بن أبي موسى، حدَّثنا إبراهيم بن محمد، حدَّثنا محمد بن سفيان، حدَّثنا سعيد بن رحمة قال: سمعت ابن المبارك، عن وهب بن مطر، عن عُبَيد بن عُمَير قال : وقف رسول الله ﷺ على مصعب بن عمير وهو مُنْجعفٌ على وجهه (أي مصروع) يوم أُحد شهيداً، وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ، فقال رسول لله ﷺ : **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَه، وَمِنْهُم مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْديلاً﴾** [الأحزاب ٢٣]، إن رسول الله يَشْهَد عليكم أنكم شهداءُ عند الله يوم القيامة. ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس، ائتوهم فزوروهم، وسلموا عليهم، فوالذي نفسي بيده، لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا رَدُّوا عليه السلام.

ولم يُعقِب مصعب إلا من ابنته زينب.

أخرجه الثلاثة ».

متى...
وكيف أسلم...
مُصعَب...؟!

متى كان اسلام البطل الشهيد؟!

ثم كيف كان اسلام ذلك العظيم الكريم؟!

بمراجعة المراجع ترشدنا أن الأرقم بن أبي الأرقم... أسلم بعد عشرة أنفس... وفي دار الأرقم بن أبي الأرقم هذا... كان النبي... ﷺ... مستخفياً من قريش بمكة... يدعو الناس فيها إلى الإسلام في أول الإسلام حتى خرج عنها... وكانت داره بمكة على الصفا... فأسلم فيها جماعة كثيرة... **وكان رسول الله... ﷺ... في دار أبي الأرقم عندَ الصفا حتى تكاملوا أربعين رجلاً مسلماً**.. وكان آخرهم إسلاماً عمر بن الخطاب... فلما تكاملوا أربعين رجلاً خرجوا...

وتحدثنا المراجع كذلك « ثم إن الله عز وجلّ أمر رسوله... ﷺ... أن يصدع بما جاءه منه.. وأن ياديَ الناسَ بأمره... وأن يدعوَ إليه... **وكان بين ما أخفَى رسولُ الله... ﷺ... أمرَه واستتر به... إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين من مَبْعثه...** »

نستنتج من ذلك أن فترة الاستخفاء كانت ثلاث سنين...

وأن مجموع الذين آمنوا خلال الاستخفاء أربعين...

ومن حيث أنه جاء بالمراجع أن مُصعباً « **أسلم ورسول الله... ﷺ... في دار الأرقم... وكتم إسلامه خوفاً من أُمّه وقومه...** »

نخلص من ذلك كله أن مُصعباً كان أحد هؤلاء الأربعين... السابقين...

ومن حيث أن عمر بن الخطاب كان آخر الأربعين إسلاماً... فمعنى هذا أن مُصعباً سبقَ عُمر إلى الاسلام...

ولكن... كيف كان اسلامُ مُصعَب؟!

أستطيع أن أقول أن تصوير الدكتور طه حسين لذلك المشهد... في كتابه الجميل « على هامش السيرة » ـــ ٣... جاء سهلاً ممتعاً... يترقرق عذوبة وجمالاً...

وإليك المشهد بتمامه...

مُصعَبَ بنَ عُمَير

« كان غضّ الشباب، معتدل الخَلق، ناضر الوجه، مشرق الجبين. وكانَ عَذْبَ الصوت، حلو الحديث، لا تكاد تقع عليه العين حتّى تهواه النفس، ولا يكاد صوته يقع في الأذن حتّى يصبو إليه القلب. وكان حسن الزّيّ معنيًّا بثيابه وشكله عناية ظاهرة، لا يكاد يراه الرائي حتى يعلم أن له حظًّا من نعمة، وفضلاً من يسار. وكان طيب النشر، لا يمرّ بمجلس من مجالس قومه إلا قالوا هذا مصعب بن عُمير مقبلاً! يستدلون عليه بما يتقدّم من بين يديه من عَرف يتأرّج به الهواء. كان أبواه يحبانه ويؤثرانه، وكانت أمه خاصة تقف عليه حبها وحنانها، وتختصه بعنايتها، وتحكمه في ثروتها الواسعة ومالها الكثير.

وكان لهذا كله أحدوثةَ قريش وموضوع أسمارها، تُعجِبُ بجماله البارع، وشبابه الرائع، وحسن بزّته، وكثرة ماله، حتى كان النبي ﷺ يتحدث عنه إلى أصحابه، ويُعجب منه بما يُعجب منه الناس؛ وكان سَمْحَ الخُلْق، رضيّ النفس، صافي الطبع، مهذّب المزاج، فلم يكن يَكْلَفُ بما يكلف به فتيان قريش من الصيد والقنص، ولم يكن يألف ما كان يألفه كهول قريش وشيوخها من حديث المال والأعمال، وإنما كانت قصاراه حياة هادئة وادعة، قوامُها حسن العشرة وصفو الحديث.

أقبل ذات يوم على المسجد في الضحى، وكان فارغ البال، راضياً عن نفسه وعن الناس وعن كل شيء. وكان يتردد في جوّ مكة نسيم بارد يبعث في الأجسام نشاطاً للحركة، وفي النفوس ميلاً إلى هذا التفكير الذي لا رزانة فيه ولا هدوء، وإنما هو تفكير سريع، أوضح مظاهره الحديث والحوار. وكان قد لقي طائفتين من الرّفاق الذين خرجوا يدفعهم هذا النشاط إلى أن يلتمسوا ما ينفقون فيه فضل ما يجدون من قوة في الجسم والعقل. فأما إحداهما فكانت تتهيّأ للصيد، وأما الأخرى فكانت تسعى إلى حانة من حانات اللهو عند روميّ كان يبيع في مكة نبيذ الشام. دعته إحدى الطائفتين إلى الصيد فنفر منه، ودعته الأخرى إلى الشراب فامتنع عليها. كان لا يحس من نفسه حاجة إلى هذه اللذة الآثمة التي يجدها أصحاب الصيد في سفك دماء الحيوان البريء، وكان لا يجد راحة إلى هذا اللهو الذي يلعب فيه عقل العاقل وحلم الحليم بين الكؤوس والأقداح. وأعرض عن أولئك وهؤلاء، ومضى أمامه إلى المسجد كأنه آثر الاستماع إلى أندية قريش وهم يتحدّثون فيما يعرض لهم من الأعمال اليسيرة أو الخطيرة. على أنه لم يكد يبلغ المسجد ويتقدّم فيه حتى سمع حواراً لا يخلو من عنف، فاستبشر ومنى نفسه ساعة قيّمة خصْبة. وما كان ألذّ الحوار يشترك فيه شيوخ قريش إذا جدّوا! وما كان ألذّ الحوار يشترك فيه شيوخ قريش إذا هزلوا أيضاً!

أقبل الفتى حتى دنا من أحد هذه الأندية، فجلس غير بعيد واستمع للقوم، فإذا هم يختصمون في هذا الرجل الذي أحدث في مدينتهم حدثاً ليس منهم إلا كاره له ساخط عليه؛ لأنه يغيّر ما ألفوا من دين، وينكر ما ورثوا من سنة، ويؤلّب الفقراء على الأغنياء، ويثير الضعفاء بالأقوياء، ويجمع إليه أخلاطاً من الناس، فيهم الحر البائس، والرقيق اليائس، فلا يكاد يتحدث إليهم حتى يزيل ما بينهم من فروق، وإذا هم جميعاً إخوان قد زال ما في صدورهم من غلّ، وصفا ما بينهم من صلة، وإذا هم يد واحدة لو أذن لها صاحبها وخلى بينها وبين الحركة لأحدثت في

المدينة شرًّا عظيماً. وهذا الرجل يجمع هؤلاء الناس إليه، فيعظهم وعظاً غريباً لم يسمعوا مثله من كهانهم في مكة، ولم يسمعوا مثله من وعاظ العرب في الأسواق. وهم يستمعون إليه فيسيغون ما يقول وكأنهم يشربونه شرباً، وإذا هم يبتهجون له حيناً فتشرق وجوههم بشراً وتتوقد عيونهم أملاً، وإذا هم يبتئسون له حيناً آخر فتعبس الوجوه، وتتقطّب الجباه، وتفيض الدموع حارة غزيرة حتى تبتل به اللحى، ويجهشون بالبكاء فإذا صدورهم تضطرب لشدّة ما يأخذ القلوب فيها من الوجيب. ما أجمل ما يعدهم ويمنيهم! وما أروع ما ينذرهم ويخوّفهم! وما أشدّ سلطانه على نفوسهم وأبلغ استئثاره بعقولهم!! ولئن خُلي بين هذا الرجل وبين المستضْعفين من قريش وأحلافها ومواليها ومن يُلمّ بمكة من شُذّاذ الناس ليثورُنّ بكل شيء، وَليغيِّرُنّ كل شيء. والقوم يختصمون في ذلك خصومة تختلف عنفاً ورفقاً باختلاف أمزجتهم وطبائعهم، فمنهم الثائر الحاد الذي يودّ لو أطلقت قريش يده فينهض إلى دار ابن أبي الأرقم هذه التي يجمع فيها محمد أصحابه إليه فيهدمها عليهم هدماً، ولن يشق ذلك عليه إذا نهض معه نفر من فتيان مخزوم. ومنهم الشيخ الوقور الذي يذكر أمس ويفكر في غد ويكره لقريش أن يُغير بعضها على بعض ويبطش بعضها ببعض، ويرى أن قريشاً إنما سادت العرب لأنها أقامت أمرها على الشورى، وجعلت الفصل فيما يعرض لها من الشر لهذه الأندية التي تتألّف من الملأ لا لبأس الأفراد والجماعات، ولا لسطوة الرئيس الذي ينفرد بالسلطان. وهو ينصح باستصلاح هذا الرجل وتقريب الأمد بينه وبين قريش، ولو تكلّفت قريش في ذلك بعض المشقّة وشيئاً من المال.

والفتى جالس غير بعيد يسمع رفق الرفيق، وعنف العنيف، ويود لو علم من أمر هذا الرجل الذي يختصم القوم فيه أكثر مما يقولون. فينهض متثاقلاً، ويخرج من المسجد ويسلك طريقه إلى دار ابن أبي الأرقم على الصفا. ولو أن الفتى سأل نفسه وهو يقطع الطريق بين المسجد وبين هذه الدار التي استقرّت فيها الدعوة الجديدة عن هذه القوة العنيفة التي

دفعته مع الضحى إلى المسجد، وصرفته عن رفاقه وهم يدعونه إلى الصيد، وصدفت به عن أصحابه وهم يرغّبونه في الشراب، وانتهت به إلى نديّ قريش فأسمعته ما كان بينهم من خصومة وحوار، ثم دفعته في هذه الطريق التي يسلكها الآن الى حيث يتحدث محمد الى أصحابه ـــ لو أن الفتى سأل نفسه عن هذه القوة الغريبة التي تحكّمت فيه، واستأثرت به منذ أصبح، لما وجد لسؤاله جواباً، ولا عرف لهذه القوة أصلاً ولا كنهاً. ولكنه لم يفكر في شيء، ولم يسأل نفسه عن شيء، وإنما يمضي في طريقه حتى يبلغ الدار، فيطرق الباب طرقاً رفيقاً، فإذا فُتح له دخل فحيا ثم جلس. والقوم ينظرون إليه فيعجبون لمنظره الرائع وزيّه الحسن وشكله الجميل، وتحيا في نفس كل واحد منهم أمنية خفية، ولكنها قوية صادقة، يودون جميعاً لو هدى الله هذا الفتى الوسيم الغني إلى الإسلام، فأصبح واحداً منهم، وشاركهم فيما يستمتعون به من هذه النعمة الغضة الشاملة، نعمة الإيمان بالله وبمحمد عبده ورسوله. إذاً لازدانت جماعة المسلمين، ولاغتاظت قريش. تحيا هذه الأمنية في نفوس القوم جميعاً في لحظة قصيرة كأنها خطف البرق، وتثبت في نفوسهم وتقوى، وإذا هي شعلة تتوقّد بها هذه العيون التي تنظر الى الفتى في حب ومودّة، وكأنها تدعو نفسه إلى أن تتصل بنفوسهم. ويحس الفتى وقع هذه الأبصار عليه ونفوذها إلى نفسه، ولكنه صامت لا يقول شيئاً ولا يأتي شيئاً.

ثم يتصل حديث النبي مع أصحابه فينذر ويُبشّر، ويقرأ القرآن. وما كان القوم يسمعون صوت النبي حتى تتحوّل إليه عن الفتى أبصارهم وقلوبهم، وإذا مُصْعبٌ كأنّه لم يدخل عليهم منذ حين، أعرضوا عنه ثم نَسوه، ولكنّه هو لا يستطيع أن يُعرض عنهم ولا أن ينساهم، فهو يلحظ انصرافهم عنه، وإقبالهم على صاحبهم. ثم لا يلبث أن ينصرف معهم عن نفسه، ويُقبل معهم على هذا البشير النذير، فيسمع ويعي، ثم ينهض فيدنو من النبي، ثم يبسط يده ويعلن دخوله في الدين الجديد ».

هذا تصوير الدكتور طه حسين لتلك اللحظة الفاصلة... من حياة

مُصعَب... حيث انتقل من الضياع الى الفلاح... ومن الضلالة إلى الهُدى...

أمّا الدكتور النشار... فيقول في كتابه « شُهداء الإسلام »...

« في بيت من بيوت سراة[1] بني عبد الدار ولد « مصعب بن عمير » لأبوين شريفين، أما أبوه فـ « عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار » كان في الذروة من قومه، جاهاً ومالاً.

أما أمه فـ « خناس بنت مالك »، وكانت مليئة، كثيرة المال، ترعى أولادها أحسن رعاية، وتكسوهم أحسن ما يكون من الثياب وأرقها، وكان لـ « مصعب » عندها المكانة الممتازة، فقد كان أعطر أهل مكة وأجملهم، يفيض تيهاً ودلالاً، يمر بين أحياء مكة فترمقه عيون فتياتها، ويسترعي منظره ساكنيها، ويُقبل « مصعب » على تلك الحياة الناعمة المترفة، فيأخذ منها بأكبر نصيب، ويرى في مفاتنها الغاية القصوى للحياة، ويمهد له شرف أبيه وثروة أمه ما يريد من متع، فلا يرى إلا ضاحكاً، مقبلاً على الدنيا، كأشد ما يكون الإقبال عليها.

تمضي الليالي مسرعة فيما هي فيه من مفاتن على « مصعب »، فلا يرى فيها ألماً ولا ضَنْكاً ولا نصباً. وتدور الأيام بمصعب. فترى منه فتيات الحي إعراضاً وابتعاداً وتلمح أمه على وجهه آثار تفكير عميق وَوَجْداً لم يُلم به من قبل، وعزماً صارماً يبدو على الجميل، وتحاول أمه ــ بما وهبها الله من غريزة خاصة ــ أن تصل إلى ما يدور في نفس فتاها، فلا تتمكن. و « مصعب » يزيد في جد الحياة امعاناً، وكأن أيامه السوالف حلم رهيب، أو أشباح ماضية. لم يعد بينه وبينها صلة من الصلات.

تروع أمه هذه الحالة الجديدة فتتساءل، وتلح في السؤال، و « مصعب » يزداد إمعاناً في السكوت، لكن ما لبثت أمه زمناً طويلاً حتى جاءها « عثمان بن طلحة النهدي » يخبرها أن « مصعباً » أسلم، فلقد بصر به « عثمان » يصلي.

(١) سراة : أغنياء وأشراف.

... أتى « دار الأرقم » البيت الخالد ساكنٌ جديد، هو « مصعب بن عمير » دخل الفتى الفاتن العاطر إلى محمد رسول الله ليسمع كلامه، ويتأمّل حقيقة الدعوة الجديدة، تلك الحقيقة التي كانت كلها جدًّا، وقوة، وصراحة. وكانت دعوة إلى الانصراف عن حياة قريش الناعمة المترفة.

لم يُثْنِ هذا كله « مصعب بن عمير »، لقد سمع وفكر، وآمن وأسلم. ولقد هاجر « مصعب بن عمير » هجرته الأولى عن متاع الحياة ومفاتنها إلى الله ورسوله، وكانت تلك الهجرة الأولى هي سر تفكيره العميق ».

مُصعَب...
أحد العشرة الأوائل...
الذين هاجروا إلى...
أرض الحبشة... ؟!

قال ابن هشام...

« فلما رأى رسول الله... ﷺ... ما يُصيب أصحابَه من البلاء...

« وما هو فيه من العافية... بمكانه من الله... ومن عمه أبي طالب...

« وأنّه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء...

« قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة... فإنّ بها مَلِكاً لا يُظلم عنده أحد... وهي أرض صِدْق... حتى يجعل الله لكم فرجاً ممَّا أنتم فيه...

« فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله... ﷺ... إلى أرض الحبشة... مخافَة الفتنة... وفراراً إلى الله بدينهم...

« فكانت أوّلَ هجرة... كانت في الإسلام... »

من هاجروا الهجرة الأولى إلى الحبشة؟!

« وكان أوّل من خرج من المسلمين من بني أُميَّة... عثمان بن عفّان... معه امرأتُه... رُقيَّة... بنتُ رسول الله... ﷺ...

« ومن بني عبد شمْس... أبو حُذَيْفة... معه امرأتُه... سَهْلة بنت سُهَيْل بن عمرو... ولدت له بأرض الحبشة... محمد بن أبي حُذَيْفة...

« ومن بني أسَد... الزُّبير بن العَوام...

« ومن بني عبد الدار بن قُصَيّ... مُصعب بن عُمَير... بن هاشم... بن عبد مناف... بن عبد الدار...

« ومن بني زُهرة... عبد الرحمن بن عوف...

« ومن بني مخزوم... أبو سَلمة... معه امرأتُه... أمُّ سَلَمة...

« ومن بني جُمَح... عثمان بن مَظْعون...

« ومن بني عديّ.. عامر بن ربيعة... معه امرأته... ليلى بنت أبي حَثْمة...

« ومن بني عامر... أبو سَبْرة...

« ومن بني الحارث... سُهَيْل بن بيضاء...

« فكان هؤلاء العشرة... أوّلَ من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة...

« قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مَظْعون... فيما ذكر لي بعض أهل العلم...

« ثم خرج جعفر بن أبي طالب... رضي الله عنه... وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة... فكانوا بها... منهم مَن خرج بأهله معه... ومنهم مَن خرج بنفسه... لا أهلَ له معه... »

من رحل إلى الحبشة... من بني عبد الدار بن قصيّ؟!

« ومن بني عبد الدار بن قُصَيّ... مُصعب بن عُمَير... بن هاشم... ابن عبد مناف... بن عبد الدار...

« وسُوَيبط بن سعد...

« وَجهْم بن قليس... معه امرأته... أم حَرْملة بنت عبد الأسود...

« وأبو الرّوم بن عُمَير... بن هاشم.. بن عبد مناف... بن عبد الدار...

« وفِراس بن النَّضْر...

« خمسة نفر... »

عدد المهاجرين إلى الحبشة؟!

« فكان جميع من لحق بأرض الحبشة... وهاجر إليها من المسلمين... سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها... ثلاثة وثمانين رجلاً... »

إرسال قريش الى الحبشة في طلب المهاجرين إليها؟!

« فلما رأت قُريش أن أصحاب رسول الله... ﷺ... قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجُلين من قريش جَلْدين إلى النجاشي، فيردّهم عليهم، ليَفتْنوهم في دينهم، ويُخْرجوهم من دارهم، التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها؛ فبعثوا عبدَالله بن أبي رَبيعة، وعمرو بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته، ثم بعثوهما إليه...

« عن أمّ سَلَمة بنت أبي أُميَّة بن المُغيرة زوج رسوِل الله... ﷺ... قالت : لما نزلنا أرضَ الحبشة، جاوَرْنا بها خيرَ جارٍ النجاشيّ، أمِنَّا على ديننا، وعبدْنَا الله تعالى لا نُؤْذَى ولا نَسمع شيئاً نكرهه؛ فلما بلغ ذلك قريشاً، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشيّ فينا رجلَيْن منهم جَلْدَين، وأن يُهْدوا للنجاشيّ هَدايا مما يُستطرف من متاعِ مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدَم (الجلود)، فجمعوا له أدَما كثيراً، ولم يتركوا من بَطارقته بطْريقاً إلا أهْدَوْا له هديَّة، ثم بعثوا بذلك عبدَ الله بن أبي رَبيعة، وَعمْرو ابن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما : ادفَعا إلى كلّ بطْريق هديَّته

قبل أن تكلما النجاشيّ فيهم، ثم قدّما إلى النجاشيّ هَداياه، ثم سَلاه أن يُسَلِّمهم إليكما قبل أن يكلِّمهم. قالت : فخَرجا حتى قدما على النجاشيّ، ونحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبقَ من بطارقته بِطْرِيقٌ إلا دَفَعا إليه هديَّته قبل أن يُكلِّما النجاشيّ، وقالا لكلّ بطْريق منهم : إنه قد ضَوَى (لجأ) إلى بَلَد الملك منّا غلْمانٌ سفهاء، فارقوا دينَ قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مُبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بَعَثَنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليردّهم إليهم، فإذا كلَّمنا الملكَ فيهم، فأشيرُوا عليه بأن يُسْلِمَهُمْ إلينا ولا يكلِّمهم، فإن قومَهم أعْلَى بهم عَيْنا (أبصر بهم)، وأعلم بما عابوا عليهم؛ فقالوا لهما : نعم. ثم إنهما قدّما هداياهما إلى النجاشيّ فقَبلها منهما، ثم كلَّماه فقالا له : أيها الملك، إنه قد ضَوى (لجأ) إلى بلدك منا غِلْمان سفهاء، فارقوا دينَ قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدينٍ ابتدعوه، لا نَعْرفه نحن ولا أنت، وقد بَعَثَنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردّهم إليهم، فهم أعْلَى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه. قالت : ولم يكن شيء أبغضَ إلى عبد الله بن أبي رَبيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامَهم النجاشي. قالت : فقالت بطارقته حوله : صَدَقَا أيها الملك قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم. قالت : فغضب النجاشيّ، ثم قال : لاها الله، إذن لا أُسلمهم إليهما، ولا يُكاد قومٌ جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على مَنْ سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فان كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتُهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك مَنعتُهم منهما، وأحسنتُ جوارهم ما جاوروني.

إحضار النجاشي للمهاجرين، وسؤاله لهم عن دينهم، وجوابهم عن ذلك؟!

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله... ﷺ... فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضُهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جِئْتموه؟ قالوا: نقول: والله ما عَلِمْنا، وما أمَرَنا به نبيُّنا... ﷺ... كائناً في ذلك ما هو كائن. فلما جاءوا، وقد دعا النجاشيّ أساقفتَه[1]، فنشروا مصاحفهم حولَه سألهم فقال لهم: ما هذا الدينُ الذي قد فارقتم فيه قومَكم، ولم تدخلوا به في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟ قالت: فكان الذي كلَّمه جعفَر بن أبي طالب (رضوان الله عليه)، فقال له: أيها الملك، كنَّا قوماً أهلَ جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منَّا الضعيف؛ فكنَّا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبَه وصِدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحِّده ونعبدَه، ونخلَع ما كنَّا نعبد نحنُ وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمَرَنا بصِدْقِ الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرَّحم، وحُسنِ الجوار، والكَفّ عن المَحارم والدّماء، ونهانا عن الفواحش، وقولِ الزّور، وأكل مال اليتيم، وقذْف المُحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نُشركُ به شيئاً، وأمَرَنا بالصَّلاة والزكاة والصيام — قالت: فعدّد عليه أمورَ الإسلام — فصدّقناه وآمنَّا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحدَه، فلم نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحلَلْنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومُنا، فعذّبونا، وفَتنونا عن ديننا، ليردُونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحلّ ما كنَّا نستحلُّ من الخبائث، فلمَّا قَهرونا وظَلمونا وضيَّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على مَنْ سواك؛ ورغبنا في جوارك، ورَجوْنا أن لا نُظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما

(١) علماء دينهم.

جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم؛ فقال له النجاشيّ: فاقرأه عليّ؛ قالت: فقرأ عليه صدراً من: ﴿كهيعص﴾ [مريم: ١]. قالت: فبكى والله النجاشيُّ حتى أخضلَّت (ابتلت) لحيتُه، وبكت أساقفتُه حتى أخْضلوا مَصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم؛ ثم قال لهم النجاشيّ: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مِشكاةٍ[1] واحدة، انطلقا، فلا والله لا أُسْلمهم إليكما، ولا يُكادون.

ماذا قال المهاجرون في عيسى عليه السلام؟!

قالت: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينَّه غداً عنهم بما استأصل به خَضْرَاءهم. قالت: فقال له عبدالله بن أبي ربيعة، وكان أتْقَى الرَّجلَين فينا: لا نفعل، فإنّ لهم أرْحاماً، وإنْ كانوا قد خالفونا؛ قال: والله لأُخبرنَّه أنهم يزعمون أن عيسى بنَ مريم عَبْدٌ. قالت: ثم غدا عليه من الغد فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مَرْيم قولاً عظيماً، فأرسِل إليهم فسَلْهم عما يقولون فيه. قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه. قالت: ولم ينزل بنا مثلُها قطُّ. فاجتمع القوم، ثم قال بعضُهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاءنا به نبيُّنا، كائناً في ذلك ما هو كائن. قالت: فلمَّا دخلوا عليه، قال لهم: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟ قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبيُّنا ﷺ، (يقول): هو عبدُ الله ورسولُه وروحه وكَلِمتُهُ ألقاها إلى مَريم العذراء البتول. قالت: فضرب النجاشيُّ بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً،

---

(١) الكوة غير النافذة؛ وقيل هي الحديدة التي يعلق عليها القنديل، أراد أن القرآن والانجيل كلام الله تعالى، وأنهما من شيء واحد.

ثم قال : والله ما عدا عيسى بنَ مريم ما قلتَ هذا العودَ، قالت : فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال؛ فقال : وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شُيومٌ بأرضي ــ والشُّيوم : الآمنون ــ من سَبَّكم غَرِم، ثم قال : من سَبَّكُم غَرِم، ثم قال : من سبَّكم غَرم. ما أُحبّ أن لي دَبراً من ذهب، وأني آذيت رجلاً منكم ــ قال ابن هشام : ويقال دبراً من ذهب، ويقال : فأنتم سيوم والدبر. (بلسان الحبشة) : الجبل ــ ردّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ اللهُ مني الرّشوة حين ردّ عليّ مُلْكي، فآخذَ الرّشوَة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأُطيعهم فيه. قالت : فخرجا من عنده مَقْبوحَين مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار، مع خير جار.

أبشروا...؟!

قالت : فوالله إنَّا لعَلى ذلك، إذ نزل به رجلٌ من الحبشة ينازعه في مُلْكه، قالت : فوالله ما علمتُنا حَزِنَّا حزْناً قطُّ كان أشدَّ علينا من حُزْنٍ حزَنّاه عند ذلك، تَخَوُّفاً أن يظهر ذلك الرجلُ على النجاشيّ، فيأتي رجلٌ لا يعرف مِنْ حقّنا ما كان النَّجاشيُّ يعرف منه. قالت : وسار اليه النجاشيُّ، وبينهما عرضُ النيل، قالت : فقال أصحاب رسول الله... صلى الله عليه وعلى آله وسلم : مَنْ رجلٌ يخرج حتى يحضُر وقيعةَ القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت : فقال الزبير بن العوّام : أنا. قالوا : فأنت. وكان من أحدث القوم سنًّا. قالت : فنفخوا له قِرْبةً فجعلها في صَدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها مُلْتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت : فدعونا الله تعالى للنجاشيّ بالظهور على عدوّه، والتَّمْكين له في بلاده. قالت : فوالله إنَّا لعَلى ذلك مُتوقِّعون لما هو كائن، إذ طلع الزُّبير وهو يسعى، فلمع بثَوْبه وهو يقول : ألا أَبْشروا، فقد ظفر النجاشيّ، وأهلك اللهُ عدوه، ومكن له في بلاده. قالت : فوالله ما علمتنا فَرِحْنا فرحةً قطّ مثلها، قالت : ورجع النجاشي، وقد أهلك الله عدوّه، ومكَّن له في بلاده،

واستوسق[1] عليه أمر الحبشة، فكنا عنده في خير مَنْزل، حتى قدمْنا على رسول الله... ﷺ وهو بمكة ».

ماذا أريد أن أقول؟!

أريد أن أقول أن مُصْعباً كان أحد العشرة الأُوائل هجرة الى الحبشة..

وأنه شهد المشهد الخالد مع سائر رفاقه المهاجرين الى الحبشة... مشهد احضارهم جميعاً أمام النجاشي... ليسمع منهم بنفسه... حقَيقة ما زعم له عمرو بن العاص...

ورأى النجاشي وهو يبكي حتى ابتلت لحيته... ويبكي من حوله أساقفته... حين سمعوا صدر صورة مريم... يتلوها عليهم جعفر بن أبي طالب... رضي الله عنه...

مشهد عظيم... من مَلِك عظيم...

واحساس كريم... من ملِك كريم...

النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟...

جعفر: نعم...

النجاشي: فاقرأه عليّ...

جعفر:

« أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

﴿كَهيعَصَ﴾.

---

(١) واستوسق : تتابع واستمر واجتمع. وفي سائر الأصول: « استوثق ».

﴿ذِكْرُ رَحْمتِ ربِّكَ عَبْدَهُ زكريَّا﴾.

﴿إذْ نادَى ربَّهُ نداءً خَفِيًّا﴾.

﴿قالَ ربِّ إنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي واشتَعَلَ الرأْسُ شيْباً وَلَمْ أكُن بدُعائِكَ ربِّ شقِيًّا﴾.

﴿وَإنِّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَدُنك وَلِيًّا﴾.

﴿يَرِثُنِي وَيرِثُ مِن آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ ربِّ رَضِيًّا﴾.

﴿يا زَكَرِيَّا إنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾.

﴿قالَ ربِّ أنَّى يكونُ لي غُلامٌ وكانتِ امْرَأتِي عاقِراً وقدْ بلغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا﴾.

﴿قالَ كذلِكَ قالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وقَدْ خلَقْتُكَ مِن قبْلُ ولَمْ تَكُ شيْئاً﴾.

﴿قالَ ربِّ اجعَل لِّي آيَةً قالَ آيَتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ الناسَ ثَلاثَ ليالٍ سوِيًّا﴾.

﴿فخرَجَ علَى قوْمِهِ مِنَ المِحْرابِ فأوْحَى إلَيْهِمْ أن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

﴿يا يَحْيَى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وآتيْناهُ الحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

﴿وحَنَاناً مِن لَدُنَّا وَزَكَاةً وكان تقِيًّا﴾.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ولَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيًّا﴾.

﴿وسلامٌ علَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ويَوْمَ يموتُ ويوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكتابِ مرْيَمَ اذِ انتبَذَتْ مِنْ أهْلِهَا مكاناً شَرْقِيًّا﴾.

﴿فاتَّخذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فأرْسَلْنَا إلَيْها رُوحَنا فتمَثَّلَ لهَا بَشَراً سوِيًّا﴾.

﴿قالتْ إنِّي أعوذُ بالرحمنِ مِنكَ إن كنتَ تقِيًّا﴾.

﴿قالَ إنَّمَا أنَا رسُولُ ربِّكِ لأهَبَ لكِ غُلاماً زكِيًّا﴾.

﴿قالتْ أنَّى يكونُ لي غُلامٌ ولمْ يَمسَسْنِي بَشَرٌ ولمْ أكُ بغِيًّا﴾.

﴿قالَ كذلِك قالَ ربُّكِ هوَ علَيَّ هَيِّنٌ ولِنَجْعلَهُ آيةً للناسِ ورحمةً مِّنَّا وكانَ أمْراً مَقْضِيًّا﴾.

﴿فحمَلَتْهُ فانتبذَتْ بهِ مكاناً قصيًّا﴾.

﴿فَأجَاءَها المَخاضُ إلى جِذْعِ النَّخْلةِ قالَتْ يا ليْتنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَّنْسِيًّا﴾.

﴿فناداها مِن تَحْتِها ألاَّ تَحْزني قدْ جَعَلَ رَبُّكِ تحْتكِ سَرِيًّا﴾.

﴿وهُزِّي إليْكِ بِجذْعِ النخلَةِ تُساقِطْ عَليْكِ رُطَباً جَنِيًّا﴾.

﴿فكُلي واشْرَبِي وَقَرِّي عيْناً فَإمَّا تَرينَّ مِنَ البَشَرِ أحَداً فقُولي إنِّي نَذَرْتُ للرحمنِ صوْماً فلنْ أُكلِّمَ اليوْمَ إنسِيًّا﴾.

﴿فأتَتْ بهِ قوْمَها تحْمِلُهُ قالوا يا مِرْيَمُ لقدْ جِئْتِ شيْئاً فَرِيًّا﴾.

﴿يا أُختَ هارونَ ما كانَ أبُوكِ امْرَأ سَوْءٍ وما كانَتْ أُمُّكِ بغِيًّا﴾.

﴿فأشارَتْ إليْهِ قالوا كيفَ نُكلِّمُ مَن كانَ في المهْدِ صَبِيًّا﴾.

﴿قالَ إنِّى عبْدُاللهِ آتانِيَ الكتابَ وجَعَلَنِي نبِيًّا﴾.

﴿وجَعلني مُباركاً أيْنَ ما كنتُ وأوصاني بالصلاةِ والزكاةِ ما دُمْتُ حيًّا﴾.

﴿وبَرًّا بِوَالدَتي ولمْ يَجْعَلنِي جبَّاراً شقِيًّا﴾.

﴿والسَّلامُ عَلَيَّ يوْمَ وُلِدتُ ويوْمَ أموتُ ويوْمَ أُبْعثُ حيًّا﴾.

﴿ذلكَ عِيسَى ابْنُ مرْيَمَ قوْلَ الْحَقِّ الذي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾.

﴿ما كانَ للهِ أن يتَّخذَ مِن ولدٍ سُبحانَهُ إذا قضَى أمْراً فإنَّما يقولُ لهُ كُن فيَكُونُ﴾.

﴿وإنَّ اللهَ رَبِّي وربُّكُمْ فٱعبُدُوهُ هذَا صراطٌ مستقيمٌ﴾.
[مريم ١ — ٣٦]

النجاشي — (وقد جعل يبكي، وأساقفته يبكون): **إن هذا والذي جاء به عيسى... ليخرج من مشكاة واحدة...**

— **انطلقا** (مشيراً الى عمرو بن العاص... وعبدالله بن أبي ربيعة... رسولي قريش... وقد غضب عليهما غضباً شديداً)...

— **فلا والله... لا أُسلمهم إليكما... ولا يكادون!!!**

وخرج عمرو وصاحبه... يجرران أذيال الخيبة...

شهد مُصعَب مع رفاقه ذلك المشهد الخالد...

ورأى بعينيه... كيف أن الإسلام الذي حاصرته قريش في مكة... قد أشرق نوره في قلب ملك عظيم... رقَّ لهم... وأبى أن يسلمهم الى جلاديهم... وعتاة قومهم...

إلا أن داهية العرب... عمرو بن العاص... لم يتجرّع الهزيمة بسهولة... وإنما فكَّر في فكرة جهنميّة... يثير بها ثائرة النجاشي... فينقلب الملك عليهم ويطردهم من بلاده!!!

« **فلما خرج من عنده...**

« **قال عمرو بن العاص : والله لآتينّه غداً عنهم بما استأصل به خضراءهم** (أي شجرتهم التي منها تفرعوا)...

: **والله لأخبرنّه أنهم يزعمون أنّ عيسى بن مريم... عبدٌ؟!** »

فكرة جهنّميّة... من داهية ماكر...

لو سمعها النجاشي... لطار عقله غضباً على هؤلاء الذين يشتمون عيسى ابن مريم!!!

وذهب من الغد الى النجاشي... على عجل وقال له : « **أيها الملك... إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً...** »!!!

ففزع الملك... فأهتبلها عمرو فرصةً... ليحدث في النجاشي ثورة فقال : **« فأرسِل إليهم... فسلْهم عما يقولون فيه »!!!**

وتوهَّم عمرو أنّه بالغ غرضه... وازداد يقيناً بنجاح مؤامرته!!!

فأرسلَ النجاشي اليهم ليسألهم عنه...

وجاءوا جميعاً... كما جاءوه المرة الأولى... **وكان مصعَب معهم... يشهد ما يشهدون!!!**

فلمَّا دخلوا عليه... وعمرو ينتظر انفجار الثورة...

النجاشيّ: **« ماذا تقولون في عيسى بن مريم؟! »**

جعفر بن أبي طالب : « نقول فيه الذي جاءنا به نبيّنا... ﷺ... »

النجاشيّ: **« وماذا يقول؟! »**

جعفر: **« يقول... هو عبدُ الله... ورسولُه... وروحُه... وكلمتهُ ألقاها إلى مريم العذراء البتول »!!!**

عمرو بن العاص (ينظر الى وجه النجاشيّ ينتظر انفجار غضبه)...

النجاشيّ: (يضرب بيده إلى الأرض... ويأخذ منها عوداً... ثم يقول)

: **« والله ما عدا عيسى بن مريم... ما قلتَ... هذا العودَ »!!!**

البطارقة (يتململون... ويتناخرون حوله... حين قال ما قال)!!!

النجاشيّ: **« وإن نخرتم والله...** (يشير الى المهاجرين) **اذهبوا... فأنتم شُيومٌ بأرضي...** (الشيومُ : الامنون)...

: **مَن سبَّكم غرم... من سبَّكم غرم... من سبَّكم غرمَ...**

: **ما أُحبّ أنّ لي دَبراً من ذهب... واني آذيت رجلاً منكم »!!!**

(الدَبر : بلسان الحبشة : الجبل)

نطقٌ كريم... من ملك كريم...

زلزل أركان عمرو... ثم ازداد زلزالا على زلزال... حين وقف المَلِك

العظيم... وأمرَ في غضب: « **رُدُّوا عليهما هداياهما... فلا حاجة لي بها** »؟!!

ها هو عمرو يتلقى الصفعة الملكية واجماً...

ويواصل الملك المؤمن العادل العظيم نُطقه : « **فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردَّ عليَّ مُلكي... فآخذ الرشوةَ فيه...**

: **وما أطاع الناس فيّ... فأطيعهم فيه** »!!!

وهكذا... كان نصر الله والفَتح!!!

تقول الرواية: « **فخرجا من عنده مَقبوحَيْن... مردوداً عليهما ما جاءا به... وأقمنا عنده بخير دار... مع خير جار** »!!!

شهد مُصعَب تلك الأحداث... وعاشها... وانفعل بها... وشارك فيها... من أول لحظة الى آخرها...

ومن هنا نعلم : لماذا تفوق أصحاب رسول الله... ﷺ... على سائر الأُمّة؟!

لأنهم كانوا هم أنفسهم موضع أعلى تجربة... في تاريخ البشر على الاطلاق!!!

دخلوا هذا الدين... فردا فرداً... واحداً واحداً...

خالفوا آباءهم وأمهاتهم... وقومهم... وعصرهم... والبشرية كلها...

البشرية كلها تقول قولاً... وهم يقولون قولاً آخر... لا إله إلا الله... محمد رسول الله...

فكانوا غرباء... في قومهم... غرباء في عالمهم...

وهم ـــ طوبى لهم ـــ ثابتون... لا يتزعزعون...

كانوا أربعين ـــ حتى مرحلة دار الأرقم ـــ ولكن أربعين أُمَّة!!!

الرجل منهم أُمَّة!!!

وكان مُصعب... أحد هؤلاء الأربعين...

رجل واحد... ولكن أُمَّة!!!

عودة مُصعَب...
وملازمته رسول الله...
صلى الله عليهِ وسلم...؟!

وبلغ أصحابَ رسول الله... ﷺ... الذين خرجوا إلى أرض الحبشة... إسلامُ أهل مكة...

« فأقبلوا لِما بلغهم من ذلك...

« حتى إذا دَنَوْا مِن مكة... بلغهم ان ما كانوا تحدثوا به من اسلام أهل مكة كان باطلاً...

« فلم يدخل منهم أحدٌ إلا بجوارٍ أو مستخفياً... »

من عاد من بني عبد الدار؟!

« ومن بني عبد الدار بن قُصيّ: مُصْعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار...

« وسُوَيبط بن سعد بن حَرْملة... »

عدد العائدين من الحبشة؟!

« فجميع من قَدِم على مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلاً... ».

أقول : عاد مُصْعب فيمن عاد من الحبشة... في أشد مراحل الدعوة وأشقّها بلاءً...

وفاة أبي طالب وخديجة؟!

« ثم إن خديجة بنت خُويلد وأبا طالب... هَلَكا في عام واحد...

« فتتابعت على رسول الله... ﷺ... المصائب بهُلْك خديجة... وكانت له وزير صدْق على الإسلام... يشكو إليها...

« وبهُلْك عمه أبي طالب... وكان له عضُداً وحرزاً في أمره... ومنعة وناصراً على قومه...

« وذلك قبل مُهاجره إلى المدينة بثلاث سنين...

« فلما هلك أبو طالب... نالت قريش من رسول الله... ﷺ... من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب...

« حتى اعترضه سفيهٌ من سفهاء قريش... فنثر على رأسه تراباً... »!!!

هذا هو الجوّ العام... الذي وجده مصعَب بعد عودته من الحبشة!!!

بل وبلغت الشدّة أقصاها...

موقف ثقيف من رسول الله... ﷺ؟!

« ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله... ﷺ... من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمِّه أبي طالب...

« فخرج رسول الله... ﷺ... إلى الطائف... يلتمس النُّصرة من ثقيف... والمنعة بهم من قومه... ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عزّ وجلّ...

« فخرج إليهم وحده... »؟!!!

أقول : قف ها هنا... وصلِّ... وسلِّم... على رسول الله... ﷺ!!!

وحدَه؟!!!!!!!

مقامٌ لا يرقى إليه سواك...

مقامٌ لا يستوي فيه أحد إلا إيَّاك...

يا سيِّد الخلق... سبحان من سوَّاك!!!

وحْدَه؟؟؟

أيّ شجاعة... وأيّ عزيمة... وأيّ تحمُّل في الله؟!!!

ثم انظر كيف كان موقف ثقيف من سيد الخلق... ﷺ؟!!

« لما انتهى رسول الله... ﷺ... إلى الطائف... عمد الى نفر من ثقيف... هم يومئذ سادة ثقيف واشرافهم... وهم إخوة ثلاثة...

« فجلس إليهم رسول الله... ﷺ...

فدعاهم إلى الله... وكلَّمهم بما جاءهم له من نُصرته على الإسلام... والقيام معه على من خالفه من قومه..

« فقال له أحدهم : هو يَمرُط[1] ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك!!!...

« وقال الآخر : أما وجد الله أحداً يُرسله غيرك؟!...

« وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً... لئن كنتَ رسولاً من الله كما تقول... لأنت أعظم خطراً من أن أُرُدَّ عليك الكلام... ولئن كنتَ تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلِّمك!!!...

« فقام رسول الله... ﷺ... من عندهم وقد يئس من خير ثقيف... »!!!

أقول: هذا مقامك سيدي... سيد الخلق...

لو علمَ هؤلاء الثلاثة... من أنتَ؟... لخرُّوا سُجَّداً وبُكِيًّا!!!

ولكن يجهلون!!!

---

(١) ينزعه ويرمي به...

أنظري يا دنيا... أحدهم يقول : أما وجد الله... أحداً... يُرسله غيرك؟!!!

كلمة لو ذُوِّبَت في بحار الأرض لأنتنتها!!!

وسيِّد الخلق... يسمَع!!!

إنَّه رسول الله... ﷺ!!!

اسمعي... يا دُنيا؟!

« فلما اطمأنّ رسول الله... ﷺ... قال:

« اللهمَّ إليك أشكو ضعفَ قوَّتي...

« وقِلَّة حيلتي...

« وهواني على الناس...

« يا أرحم الراحمين...

« أنت ربّ المستضعفِين...

« وأنت ربي...

« إلى مَن تكِلُني؟...

« إلى بعيد يتجهَّمني؟[1]...

« أم إلى عدوّ مَلَّكْتَه أمري؟...

« إن لم يكن بك عليّ غضَب فلا أُبالي...

« ولكن عافيَتك هي أوسع لي...

(١) تجهمه : استقبله بوجه كريه...

« أعوذ بنور وجْهك الذي أشرقتْ له الظلمات...

« وصلح عليه أمرُ الدنيا والآخرة...

« من أن تُنزل بي غضبَك...

« أو يحلّ عليّ سُخْطك...

« لك العُتبى حتى تَرضى...

« ولا حول ولا قوّة إلا بك »!!!

هل سمعتِ... يا دُنيا؟!!

ذلكم... رسول الله... ﷺ!!!

أقول : هذا هو الجوّ العام... أشدّ الأذى في مكة... وأشدّ منه في الطائف...

ولكن ذلك كله... لا يزيد مُصعَباً... إلا حُبًّا لرسول الله... ﷺ!!!

عندما بعث...
رسول الله... صلَّى الله عليه وسلّم...
مُصعباً... مع وفد العقبة...؟!

قال ابن هشام :

« فلما أراد الله عزّ وجلّ إظهار دينه... وإعزاز نبيّه... ﷺ... وإنجاز موعده له...

« خرج رسول الله... ﷺ... في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار...

« فعرض نفسه على قبائل العرب... كما كان يصنع في كل موسم...

« فبينما هو عند العقبة لَقِي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً... »

أفلا تجلسون أكلِّمكم؟!

« قالوا : لما لقيهم رسول الله... ﷺ... قال لهم :

« **من أنتم؟...**

« قالوا : نفر من الخزرج...

« **قال : أمِن مواليَ يَهود؟...**

« قالوا : نعم...

« **قال : أفلا تجلسون أكلّمكم؟...**

« قالوا : بلى...

« فجلسوا معه...

« فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ...

« وعرضَ عليهم الاسلام...

« وتلا عليهم القرآن...

« قال : وكان مما صنع الله لهم في الاسلام... أن يهود كانوا معهم في بلادهم... وكانوا أهل كتاب وعلم... وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان...

« وكانوا قد غزوهم ببلادهم... فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : **ان نبيّا مبعوثٌ الآن... قد أظلّ زمانه... نتّبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرَم...**

« **فلما كلَّم رسول الله... ﷺ... أولئك النفر... ودعاهم إلى الله... قال بعضهم لبعض : يا قوم، تعلموا والله إنه للنبيّ الذي توعَّدكم به يهود... فلا تسبقُنَّكم إليه...**

« **فأجابوه فيما دعاهم إليه... بأن صدَّقوه وقبلوا منه ما عَرَضَ عليهم من الإسلام...**

« **وقالوا : إنا قد تركنا قومنا... ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ ما بينهم... فعسى أن يجمعهم الله بك... فسنقدم عليهم... فندعوهم إلى أمرك...**

« **وتعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا الدين... فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزّ منك...**

« **ثم انصرفوا عن رسول الله... ﷺ... راجعين إلى بلادهم... وقد** آمنوا وصدّقوا... »!!!

أسماء الذين التقوا... بالرسول... عند العقبة؟!

« **وهم ستة نفر من الخزرج...**

١ ــ « أسعد بن زرارة...

٢ ــ « وعوفُ بن الحارث...
٣ ــ « رافعُ بن مالك...
٤ ــ « قُطْبة بن عامر...
٥ ــ « عُقبة بن عامر...
٦ ــ « جابر بن عبد الله...

« فلما قدِموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله... ﷺ... ودَعَوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم...

« فلم يبق دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها ذكرٌ من رسول الله... ﷺ... »!!!

العَقبة الأولى؟!

« حتى إذا كان العام المُقبل وافَى الموسم من الأنصار اثنا عشَر رجلاً...

« فلقوه بالعقبة...

« وهي العقبة الأولى...

« فبايعوا رسول الله... ﷺ... على بيعة النساء... وذلك قبل أن تُفترض عليهم الحرب »...

رجال العقبة الأولى؟!

١ ــ « أسعد بن زرارة...
٢ و٣ ــ « عَوف... ومعاذ... ابنا الحارث...
٤ ــ « رافع بن مالك...
٥ ــ « ذَكْوان بن عبد قيس...
٦ ــ « عُبادة بن الصامت...

٧ ــ « يزيد بن ثعلبة...
٨ ــ « العباس بن عُبادة...
٩ ــ « عُقبة بن عامر...
١٠ ــ « قُطبة بن عامر...
١١ ــ « أبو الهيثم بن التَّيِّهان...
١٢ ــ « عُوَيْم بن ساعدة... »!!!

الأبطال يبايعون... رسول الله؟!

« عن عُبادة بن الصامت... قال:

« كنتُ فيمن حضر العقبة الأولى...

« وكنَّا اثنَيْ عشر رجلاً...

« فبايعنا رسول الله... ﷺ... على بَيْعة النساء... وذلك قبل أن تفترض الحرْب...

« على أن لا نُشرك بالله شيئاً...

« ولا نسْرق...

« ولا نَزْني...

« ولا نقتل أولادنا...

« ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا...

« ولا نعصيه في معروف...

« فإن وفَّيتم فلكم الجنة...

« وإن غَشِيتم من ذلك شيئاً فأمرُكم إلى الله عزّ وجلّ... إن شاء عذّب وإن شاء غفر... »!!!

الرسول يبعث مُصْعباً... مع وفد العقبة؟!

« **فلما انصرف عنه القوم...**

« **بعث رسول الله... ﷺ... معهم...**

« **مُصْعب بن عُمير بن هاشم... بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصَيّ...**

« **وأمره أن يُقْرئهم القرآن...**

« **ويعلمهم الإسلام...**

« **ويفقّههم في الدين...**

« **فكان يُسمَّى المُقرئ بالمدينة: مُصْعَبُ...**

وكان منزلُه... على أسْعد بن زُرارة... أبي أُمامة...

« **قال ابن إسحاق : إنه كان يصلي بهم... وذلك أن الأوسَ والخزْرَج كره بعضُهم أن يَؤُمَّه بعضٌ... »!!!**

أقول : وهكذا رحل مُصْعب من مكة الى يثرب على رأس وفد العقبة الأولى...

داعياً الى الله بإذنه...

وهنا تبدأ مرحلة خطيرة... من حياة مُصْعَب...

فماذا كان منه... وماذا صنع بأهل يثرب؟!!

اسلام سعد بن مُعاذ...
على يَدَي...
مُصْعَب...؟!

قال ابن إسحاق :

« ... إن أسعد بن زُرارة... خرج بمُصعب بن عُمير... يريد به دارَ بني عبد الأشهل... ودار بني ظَفَر...

« وكان سعد بن مُعاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل... ابن خالة أسعد بن زُرارة...

« فدخل به حائطاً من حوائط بني ظَفر...

« فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ، وأُسَيْد بن حُضَير، يومئذ سيدَا قومهما من بنيَ عبد الأشهل، وكلاهما مُشرك على دين قومه، فلمّا سمعا به قال سعدُ بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارَينا ليسفِّها ضُعفاءنا، فازجرهما وانهَهُما عن أن يأتيا دارَيْنا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتُك ذلك، هو ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدّما، قال : فأخذ أسيد بن حُضَير حَرْبته ثم أقبل إليهما؛ فلما رآه أسعد بن زرارة، قال لمصعب بن عمير : هذا سيِّد قومه قد جاءك، فاصدُق الله فيه؛ قال مصعب : إن يجلس أكلمه. قال : فوقف عليهما مُتشتّماً، فقال : ما جاء بكما إلينا تسفِّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة؛ فقال له مصعب : أَوَتجلسُ فتسمعَ، فان رضيتَ أمراً قبلتَه، وإن كرهتهُ كُفّ عنك ما تكره؟ قال : أنصفتَ، ثم ركّز حربته وجلس اليهما، فكلَّمه مُصْعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن؛ فقالا : فيما يذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الإسلامَ قبل أن يتكلّم في

إشراقه وتسهُّله، ثم قال : ما أحسنَ هذا الكلامَ وأجمَله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له : تغتسل فتطهَّر وتطهِّر ثوبيك، ثم تَشهد شهادة الحقّ، ثم تصلي. فقام فاغتسل وطهَّر ثوبيه، وتشهد شهادة الحقّ، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما : إنّ ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلّف عنه أحد من قومه، وسأُرسله إليكما الآن، سعدَ بن معاذ، ثم أخذ حَرْبته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم؛ فلما نظر إليه سَعْد بن معاذ مُقْبلاً، قال : أحلف بالله لقد جاءكم أُسَيْدُ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم؛ فلما وقفَ على النادي قال له سعد : ما فعلت؟ قال: كلَّمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتُهما، فقالا : نفعل ما أحببتَ، وقد حُدّثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنّه ابن خالتك، ليُخْفِروك(1) : قال : فقام سعد مُغْضَباً مبادراً، تخوّفاً للذي ذُكر له من بني حارثة، فأَخذ الحربة من يده، ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما؛ فلما رآهما سعد مطمئنين، عرف سعدٌ أن أُسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتّماً، ثم قال لأسعد بن زُرارة : يا أبا أمامة، أما والله، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْت هذا مني، أتَغْشانا في دارينا بما نكره — وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عُمير : أي مُصعب، جاءك والله سيِّد من وراءَه من قومه، إن يتبعك لا يتخلَّف عنك منهم اثنان — قال : فقال له مصعب : أَوَتقعد فتسمع، فإن رضيتَ أمراً ورَغبت فيه قَبِلْتَهُ، وإن كرهته عَزَلنا عنك ما تكره؟ قال سعد : أنصفْت. ثم ركز الحربةَ وجلس، فعرض عليه الإسلامَ، وقرأ عليه القرآن، قالا : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلَّم، لإشراقه وتسهُّله؛ ثم قال لهما : كيف تصنَعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا : تغتسل فتطَهَّر وتطهِّر

---

(1) الإخفار : نقض العهد والغدر...

ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحقّ، ثم تصلي ركعتين، قال : فقام فاغتسل وطهَّر ثوبيه، وتشهَّد شهادة الحقّ، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أُسَيْد بن حُضَير.

« قال : فلما رآه قومه مقبلاً، قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعدٌ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم؛ فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم، قالوا : سيدنا وأوصلنا وأفضلنا رأياً، وأيمننا نقيبةً؛ قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

« قالا : فوالله ما أمْسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة، ورجع أسعد ومُصعب إلى منزل أسعد بن زُرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ».

« قال ابن إسحق : « ثم إن مُصعب بن عُمير رجعَ إلى مكة، وخرج مَنْ خرج من الأنصار من المسلمين إلى المَوْسم مع حُجَّاج قومهم من أهل الشِّرك، حتى قَدموا مكة، فواعدوا رسولَ الله ﷺ العقبةَ، من أوسط أيام التشريق، حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته، والنصر لنبيِّه، وإعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله ».

أقول : وهكذا هبط مصعبٌ إلى المدينة... وكانت تسمى يومئذ يثرب... لِيتشعشع خلالها نوراً...

وحسبه أن سعد بن مُعاذ... سيد الأنصار... أسلم على يديه!!!

بيعة...
العَقَبة...
الثانية...؟!

جاء في سيرة ابن هشام :

« ثم خرجنا إلى الحجّ... وواعدنا رسول الله... ﷺ... بالعقبة من أوسط أيام التشريق...

« فلما فرغنا من الحج... وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله... ﷺ...

« فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلثُ الليل. خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله ﷺ، نتسلَّل تسلُّل القَطا مُسْتخفِين، حتى اجتمعنا في الشِّعْب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نسائنا : نُسيبة بنت كعب، أمّ عمارة، إحدى نساء بني مازن ابن النجّار؛ وأسماء بنت عمرو بن عديّ بن نابي، إحدى نساء بني سلمة، وهي أم مَنيع.

« فاجتمعنا في الشِّعب نَنتظر رسولَ الله ﷺ، حتى جاءنا ومعه (عمه) العبَّاس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحبّ أن يحضُر أمرَ ابن أخيه ويتوثّق له. فلما جلسَ كان أوّل متكلّم العبَّاس بن عبد المطلب، فقال : يا معشر الخزرج ــ قال : وكانت العرب إنما يسمُّون هذا الحيَّ من الأنصار : الخزرج، خزرجها وأوْسها ــ : إن محمداً منَّا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزّ من قومه ومَنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحيازَ إليكم، واللحوقَ بكم، فان كنتم تَرَوْن أنكم وافُون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحمَّلتم من ذلك؛ وإن كنتم ترون أنكم مُسْلموه وخاذِلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فَدَعوه، فانه في عز ومَنَعة من قومه

وبلده. قال : فقلنا له : قد سَمِعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربّك ما أحببتَ.

عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار

« فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى اللهَ ورغّب في الإسلام، ثم قال أُبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. قال : فأخذ البراء بن مَعْرور بيده، ثم قال : نعم، والذي بعثك بالحقّ نبيًّا، لنمنعنَّك مما نَمْنع منه أُزُرَنا، فبايِعْنا يا رسولَ الله، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة[1]، ورثناها كابراً عن كابر. قال : فاعترض القولَ، والبراءُ يكلِّم رسول الله ﷺ، أبو الهيثم بن التَّيِّهان، فقال : يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنَّا قاطعوها — يعني اليهود — فهل عسيتَ إن نحن فعَلنا ذلك ثم أظهرك اللهُ أن ترجع إلى قومك وتدَعنا؟ قال : فتبسّم رسولُ الله ﷺ، ثم قال : بل الدم الدم، والهَدم الهدم[2]، أنا منكم وأنتم مني، أُحارب مَن حاربتم، وأسالِم من سالمتم.

« وقد كان قال رسول الله ﷺ : أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً، ليكونوا على قومهم بما فيهم. فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس.

« قال ابن إسحاق : فحدثني عبدالله بن أبي بكر : أنّ رسول الله ﷺ قال للنُّقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كُفَلاء، ككفالة الحواريِّين لعيسى ابن مَريم، وأنا كَفيل على قومي — يعني المسلمين — قالوا : نعم.

---

(١) الحلقة، أي السلاح.

(٢) قال ابن قتيبة : كانت العرب تقول عند عقد الحلق والجوار : دمي دمك، وهدمي هدمك، أي ما هدمت من الدماء هدمته أنا.

كلمة العباس بن عبادة في الخزرج قبل المبايعة

« قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن القوم لمَّا اجتمعوا لبَيْعة رسول الله ﷺ قال العبَّاس بن عبادة بن نضلة الأنصاريّ، أخو بني سالم بن عوف : يا معشر الخزرج، هل تدرُون علامَ تُبايعون هذا الرجل؟ قالوا : نعم، قال : إنكم تُبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فان كنتم ترون أنكم إذا نُهكت أموالُكم مُصيبة، وأشرافُكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الأموال، وقتل الأشراف، فخذوه، فهو والله خيرُ الدنيا والآخرة؛ قالوا : فإنَّا نأخُذه على مصيبة الأموال، وقَتْل الأشراف؛ فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفَّينا بذلك؟ قال : الجنَّة. قالوا : أبسُط يدك، فبسطَ يده فبايعوه.

« وأما عاصم بن عُمر بن قتادة فقال : والله ما قال ذلك العبَّاس إلا ليشُد العقدَ لرسول الله ﷺ في أعْناقهم.

« وأما عبدُ الله بن أبي بكر فقال : ما قال ذلك العبَّاس إلا ليؤخّر القوم تلك الليلة، رجاء أن يحضرها عبدالله بن أُبي بـن سَلول، فيكون أقوى لأمر القوم، فالله أعلم أيّ ذلك كان.

أول من ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة الثانية

« قال ابن اسحاق : فبنُو النجَّار يزعمون أن أبا أمامة، أسعد بن زُرارة، كان أوّل من ضرب على يده؛ وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم ابن التَّيهان.

« قال ابن إسحاق : فأما معبد بن كَعب بن مالك فحدثني في حديثه، عن أخيه عبدالله بن كَعْب، عن أبيه كَعْب بن مالك، قال : كان أوّل من ضَرب على يد رسول الله ﷺ البرَاءُ بنُ مَعْرور، ثم بايع بعدُ القومُ.

استعجال المبايعين للإذن بالحرب

« قال : ثم قال رسول لله ﷺ : ارفضُّوا[1] إلى رِحالِكم. قال : فقال له العبَّاس بن عُبادة بن نَضْلة : والله الذي بعثك بالحقّ : إن شئت لنميلنَّ على أهلِ مِنًى غداً بأسْيافنا؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : لم نُؤمَر بذلك، ولكن ارجعُوا إلى رحالكم. قال : فرَجعنا إلى مَضاجعنا، فنمْنا عليها حتى أصبحنا.

غدو قريش على الأنصار في شأن البيعة

« قال : فلما أصبحنا غدت علينا جِلَّة قُرَيش، حتى جاءونا في منازلنا، فقالوا : يا معشر الخَزرج، إنه قد بَلَغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتُبايعونه على حَرْبنا، وإنه والله ما من حيّ من العرب أبغَضُ إلينا، أن تَنشَبَ الحربُ بيننا وبينهم، منكم. قال : فانبعث مَنْ هناك مِن مُشْركي قَوْمنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيءٌ، وما عَلِمْناه. قال : وقد صدَقوا، لم يَعلَموه. قال : وبعضُنا ينظرُ إلى بعض.

« قال ابن إسحاق : وحدثني عبدالله بن أبي بكر : أنهم أتَوا عبدَ الله ابن أبي بن سَلول، فقالوا له مثل ما قال كَعب من القول؛ فقال لهم : والله إنَّ هذا الأمر جَسيم، ما كان قومي ليتفوَّتوا عليّ بمثل هذا، وما علمته كان. قال : فانصرفوا عنه.

خروج قريش في طلب الأنصار

قال : ونفَر الناسُ من مِنًى، فتَنطَّس القومُ الخَبر، فوجدوه قد كان، وخَرجوا في طلب القوم، فأدركوا سَعْد بن عُبادة بأذَاخر، والمُنذِر بنَ

---

(١) ارفضوا : تفرقوا.

عمرو، أخا بني ساعدة بن كَعْب بن الخَزْرج، وكلاهما كان نقيباً. فأما المُنذر فأعجز القومَ؛ وأما سَعد فأخذوه...

شروط البيعة في العقبة الأخيرة

« قال ابن إسحاق : وكانت بيعة الحرْب، حين أذِن الله لرسوله ﷺ في القتال شروطاً سوى شَرْطه عليهم في العَقبة الأولى، كانت الأولى على بَيْعة النِّساء، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرَسوله ﷺ في الحرب، فلما أذن الله له فيها، وبايعهم رسول الله ﷺ في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود، أخذ لنفسه واشترط على القوم لربِّه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنَّة.

« قال ابن اسحاق : فحدثني عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت، عن أبيه الوليد، عن جدّه عبادة بن الصامت، وكان أحدَ النقباء، قال :

بايعنا رسول الله ﷺ بيعةَ الحرب ـــ وكان عُبادة من الأثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى على بَيْعة النساء ـــ على السَّمع والطاعة، في عُسْرنا ويُسْرنا ومُنْشَطنا ومُكرَهنا، وأَثْرَةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمرَ أهلَه، وأن نقول بالحقّ أينما كُنا، لا نخاف في الله لومةَ لائم ».

أقول : هذه هي بيعة العقبة الثانية... حيث بايعوه... ﷺ... على حرب الأسود والأحمر....

فكانت فتحا عظيماً... أمر بعدها رسول الله... ﷺ... أصحابه بالخروج الى المدينة والهجرة اليها...

وقال : إن الله عزّ وجلّ قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها...

فخرجوا جماعة في إثر جماعة...

وكان ممن خرج مهاجراً... مصعب بن عمير!!!

مُصْعَب...
يهاجر إلى المدينة...
ويشهد أحداث الهجرة...؟!

وأذِنَ رسول الله... ﷺ... لأصحابه في الهجرة...

فجعلوا يتتابعون الى المدينة... فرادى وجماعات...

ونزلوا على إخوانهم بالمدينة...

« ونزل مُصْعب بن عمير بن هاشم... على سعد بن مُعاذ بن النعمان... في دار بني عبد الأشهل »

وجعل المهاجرون والأنصار... ينتظرون قدومه... ﷺ... عليهم...

هجرة الرسول ﷺ

« وأقام رسولُ الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤذن له في الهجرة، ولم يتخلَّف معه بمكة أحدٌ من المهاجرين إلا من حُبس أو فُتن، إلا عليّ بن أبي طالب، وأبو بكر بن أبي قُحافة الصدّيق رضي الله عنهما، وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسولَ الله ﷺ في الهجرة، فيقول له رسول الله ﷺ : لا تعجل لعلّ الله يجعل لك صاحباً، فيطمع أبو بكر أن يكونه.

اجتماع الملأ من قريش، وتشاورهم في أمر الرسول ﷺ

« قال ابن إسحاق : ولمّا رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعةٌ وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروجَ أصحابه من المهاجرين

إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً، وأصابوا منهم منعة، فحذِروا خروج رسول الله ﷺ إليهم، وعرفوا أنهم قد أجمع لحربهم. فاجتمعوا له في دار النَّدوة ــ وهي دار قصيّ بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها ــ يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ، حين خافوه.

« قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم من أصحابنا، عن عبدالله ابن أبي نجيح، عن مجاهد بن جُبير أبي الحجَّاج، وغيره ممن لا أتهم، عن عبدالله بن عبَّاس رضي الله عنهما قال : لمَّا أجمعوا لذلك، واتَّعدوا أن يدخلوا في دار النَّدوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ، غَدوا في اليوم الذي اتَّعدوا له، وكان ذلك اليوم يسمى يومَ الزَّحْمة، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل، عليه بتلة[1]، فوقف على باب الدار، فلما رأوه واقفاً على بابها، قالوا : من الشيخ؟ قال : شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له، فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أن لا يُعْدمكم منه رأياً ونُصحاً، قالوا : أجل، فادخل، فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشرافُ قُريش؛ من بني عبد شمس : عُتبة بن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة، وأبو سفيان ابن حرب. ومن بني نَوْفل بن عبد مناف : طُعيمة بن عديّ، وجُبير بن مطعم، والحارث بن عامر بن نوفل. ومن بني عبد الدار بن قصيّ : النضرُ ابن الحارث بن كلدة. ومن بني أسد بن عبد العزّى: أبو البَختريّ بن هشام، وزَمْعة بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حزام. ومن بني مخزوم : أبو جهل بن هشام. ومن بني سَهْم : نُبيه ومنبَّه ابنا الحجَّاج، ومن بني جُمَح : أُمية بن خلف، ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يعدّ من قريش.

« فقال بعضهم لبعض : إن هذ الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا

---

(١) البتلة : الكساء الغليظ.

فيه رأياً. قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه باباً، ثم تربَّصوا به ما أصاب أشباهَه من الشعراء الذين كانوا قبله، زُهيراً والنابغة، ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يُصيبه ما أصابهم، فقال الشيخ النجديّ: لا والله، ما هذا لكم برأي. والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجنّ أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم، فينزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به، حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره، فتشاوروا، ثم قال قائل منهم: نُخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا، فاذا أُخرج عنّا فوالله ما نُبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، إذا غاب عنّا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وأُلْفتنا كما كانت[1]. فقال الشيخ النجديّ: لا والله، ما هذا لكم برأي، ألم تَرَوا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحلّ على حيّ من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، دبِّروا فيه رأياً غير هذا. قال: فقال أبو جهل ابن هشام: والله إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد؛ قالوا: وما هو، يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كلّ قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربةَ رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه. فانهم اذا فعلوا ذلك تفرّق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعَقْل، فعقلناه لهم. قال: فقال الشيخ النجديّ: القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رأي غيره، فتفرّق القوم على ذلك وهم مجمعون له.

---

(١) صاحب هذا الرأي ابو الأسود ربيعة بن عامر، احد بني عامر بن لؤي.

خروج النبي ﷺ واستخلافه عليا على فراشه

فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ، فقال: لا تَبِتْ هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. قال: فلمَّا كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام، فيثبون عليه؛ فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم، قال لعليّ بن أبي طالب: نمْ على فراشي وتَسجّ[1] بِبُرْدي هذا الحَضرميّ الأخضر، فنم فيه، فانه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم، وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام.

« قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القَرظي قال: لما اجتمعوا له، وفيهم أبو جهل بن هشام، فقال وهم على بابه: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره، كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بُعثتم من بعد موتكم، فجُعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بُعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تُحرقون فيها.

« قال: وخرج عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ حَفنة من تراب في يده، ثم قال أنا أقول ذلك، أنت أحدُهم. وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه، فلا يَرَوْنه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يسّ: ﴿**يسّ والقُرآنِ الحَكِيمِ. إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ. على صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ. تَنْزِيلَ العَزِيزِ الرَّحِيمِ**﴾ [آية: ١ — ٥]... إلى قوله: ﴿**فأغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرونَ**﴾ [آية ٩] حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم، فقال: ما تَنْتظرون

---

(١) تسجى بالثوب: غطى به جسده ووجهه.

ها هنا؟ قالوا : محمداً؛ قال : خَيَّبكم الله! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال : فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فاذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلّعون فيرونَ عليًّا على الفراش متسجيًّا ببُرد رسول الله ﷺ، فيقولون : والله إن هذا لمحمدٌ نائماً، عليه بُرده. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام عليّ رضي الله عنه عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا.

ما نزل من القرآن في تربص المشركين بالنبي

« قال ابن إسحاق : وكان مما أنزل الله عزّ وجلّ من القرآن في ذلك اليوم، وما كانوا أجمعوا له : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ، وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ﴾ [الأنفال : ٣٠]، وقول الله عزّ وجلّ : ﴿أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ قُلْ تَرَبَّصُوا فانّي مَعَكُمْ مِنَ المُتَرَبِّصِينَ﴾.

[الطور : ٣٠ ــ ٣١]

« قال ابن هشام : المنون : الموت. وريب المنون : ما يريب ويعرض منها.

« قال ابن إسحاق : وأذن الله تعالى لنبيه ﷺ عند ذلك في الهجرة ».

طمع أبي بكر في أن يكون صاحب النبي في الهجرة، وما أعد لذلك

« قال إبن إسحاق : وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً ذا مال، فكان حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فقال له رسولُ الله ﷺ : لا تعجل، لعلّ الله يجد لك صاحباً، قد طمع بأن يكون رسولُ الله ﷺ، إنما يعني نفسه، حين قال له ذلك، فابتاع راحلتين، فاحتبسهما في داره، يعلفهما إعداداً لذلك ».

حديث هجرته ﷺ إلى المدينة

« قال ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أمّ المؤمنين أنها قالت : كان لا يخطئُ رسولُ الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة، وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة، والخروج من مكة من بين ظهري قومه، أتانا رسولُ الله ﷺ بالهاجرة، في ساعة كان لا يأتي فيها. قالت : فلما رآه أبو بكر، قال : ما جاء رسولُ الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدَث. قالت : فلما دخل، تأخّر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ : أخرج عني مَنْ عندك؛ فقال : يا رسول الله، انما هما ابنتاي، وما ذاك؟ فداك أبي وأمي! فقال : إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة. قالت : فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله؛ قال : الصحبة، قالت : فوالله ما شعرت قطّ قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، ثم قال : يا نبيّ الله، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا. فاستأجَرَا عبدَ الله بن أرقط — رجلاً من بني الدّئل بن بكر، وكانت أمه امرأة من بني سَهْم بن عمرو، وكان مشركاً — يدلهما على الطريق، فدفعا إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما ».

من كان يعلم بهجرة الرسول ﷺ

« قال ابن إسحاق : ولم يَعلم فيما بلغني، بخروج رسول الله ﷺ أحد، حين خرج، إلا عليّ بن أبي طالب، وأبو بكر الصدّيق، وآل أبي بكر. أما علي فان رسول الله ﷺ — فيما بلغني — أخبره بخروجه، وأمره أن يتخلّف بعده بمكة، حتى يؤدّيَ عن رسول الله ﷺ الودائع، التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحدٌ عنده شيء يخشَى عليه إلا وضعه عنده، لما يُعلم من صدقه وأمانته ﷺ ».

قصة الرسول ﷺ مع أبي بكر في الغار

« قال ابن إسحاق : فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج، أتى أبا بكر ابن أبي قُحافة، فخرجا من خَوْخة لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمد إلى غار بِثَوْرٍ ــ جبل بأسفل مكة ــ فدخلاه، وأمر أبو بكر ابنَه عبدالله ابن أبي بكر أن يتسمَّع لهما ما يقول الناس فيهما نهارَه، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر، وأمر عامرَ بن فُهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره، ثم يُريحها عليهما، يأتيهما إذا أمسى في الغار. وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يُصلحهما.

« قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم، أن الحسن بن أبي الحسن البصري قال : انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً، فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله ﷺ، فلمسَ الغار، لينظر أفيه ضبع أو حيَّة، يَقِي رسولَ الله ﷺ بنفسه.

ابنا أبي بكر وابن فهيرة يقومون بشئون الرسول وصاحبه وهما في الغار

« قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر وجعلت قُريش فيه حين فقدوه مئة ناقة، لمن يردّه عليهم. وكان عبدالله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم، يسمع ما يأتمرون به، وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر. وكان عامر بن فُهيرة، مولى أبي بكر رضي الله عنه، يرعى في رُعْيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر، فاحتلبا وذبحا، فإذا عبدالله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة، اتبع عامر ابن فهيرة، أثره بالغنم حتى يعفّي عليه، حتى إذا مضت الثلاث، وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببعيرَيْهما وبعير له، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بسُفرتهما، ونسيت أن تجعل لها

عِصاماً[1] فلما ارتحلا ذهبت لتعلّق السفرة، فاذا ليس لها عصام، فتحلّ نِطاقها فتجعله عصاماً، ثم علّقتها به ».

أبو بكر يقدم راحلة للرسول ﷺ

« قال ابن إسحاق : فلما قرّب أبو بكر، رضي الله عنه، الراحلتين إلى رسول الله ﷺ، قدّم له أفضلهما، ثم قال : اركب، فداك أبي وأمي، فقال رسول الله ﷺ : إني لا أركب بعيراً ليس لي؛ قال : فهي لك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي؛ قال : لا، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به؟ قال : كذا وكذا؛ قال : قد أخذتها به؛ قال : هي لك يا رسول الله. فركبا وانطلقا وأرْدف أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه عامرَ بن فُهيرة مولاه خلفه ليخدِمُهما في الطريق ».

ضرب أبي جهل لأسماء

« قال ابن إسحاق : فحُدِّثت عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، أتانا نفر من قُرَيش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجتُ إليهم؛ فقالوا : أين أبوك يا بنتَ أبي بكر؟ قالت : لا أدري والله أين أبي؟ قالت : فرفع أبو جهل يدَه، وكان فاحشاً خبيثاً، فلطم خدّي لطمة طرح منها قُرطي ».

طريقه ﷺ في هجرته

« قال ابن إسحاق : فلما خرج بهما دليلُهما عبدُ الله بن أرْقط، سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل. **ثم قدم بهما قُباء، على**

---

(١) العصام : الحبل أو شبهه يشد على فم المزادة ونحوها ليحفظ باقيها أو تعلق منها في وتد ونحوه.

بني عمرو بن عوف، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل يوم الاثنين، حين اشتدَّ الضَّحاء، وكادت الشمس تعتدل.

قدومه ﷺ قباء

« قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُروة ابن الزبير، عن عبد الرحمن بن عُويمر بن ساعدة، قال : حدثني رجال من قومي من أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا : لما سمعنا بمَخرج رسول الله ﷺ من مكة، وتوكَّفنا[1] قدومه، كنا نخرج إذا صلينا الصبح، إلى ظاهر حرّتنا ننتظر رسول الله ﷺ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمسُ على الظلال فاذا لم نجد ظلاً دخلنا، وذلك في أيام حارة. حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ، جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظلّ دخلنا بيوتنا، وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت، فكان أوّل من رآه رجلٌ من اليهود، وقد رأى ما كنا نصنع، وأنَّا ننتظر قدوم رسول الله ﷺ علينا، فصرخ بأعلى صوته : يا بني قَيْلة[2]، هذا جَدُّكم قد جاء. قال : فخرجنا إلى رسول الله ﷺ، وهو في ظلّ نخلة، ومعه أبو بكر رضي الله عنه في مثل سنّه، وأكثرُنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك، ورَكِبه الناس[3] وما يعرفونه من أبي بكر، حتى زال الظلّ عن رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر فأظلّه بردائه، فعرفناه عند ذلك[4] ».

---

(١) توكفنا قدومه : استشعرناه وانتظرناه.

(٢) بنو قيلة، هم الأنصار، وقيلة : اسم جدة كانت لهم.

(٣) ركبه الناس : أي ازدحموا عليه.

(٤) كان قدوم رسول الله ﷺ المدينة يوم الأثنين لأثني عشرة من ربيع الأول، وقيل : قدمها لثمان خلون من ربيع الأول كما قيل : إن خروجه عليه الصلاة والسلام من الغار كان يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول.

منازله ﷺ بقباء

« قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله ﷺ — فيما يذكرون — على كُلْثوم بن هِدْم، أخي بني عمرو بن عَوف، ثم أحد بني عُبيد : ويقال : بل نزل على سعد بن خَيثمة. ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن هِدْم : إنما كان رسول الله ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن هدْم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة. وذلك أنه كان عَزباً لا أهل له، وكان منزل الأعزاب من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين، فمن هنالك يقال : نزل على سعد بن خيثمة، وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة : بيت الأعزاب. فالله أعلم أيّ ذلك كان، كلاًّ قد سمعنا ».

بناء مسجد قباء

« قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بقُباء، في بني عمرو بن عوف، يوم الأثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس، وأسَّس مسجده[1] ».

خروجه ﷺ من قباء وسفره الى المدينة

« ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة. وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك، فالله أعلم أيّ ذلك كان. فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي، وادي رانُوناء[2]، فكانت أوّل جمعة صلاها بالمدينة ».

---

(١) ذكر أن رسول الله ﷺ كان أول من وضع حجراً في قبلته، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه إلى حجر رسول الله ﷺ، ثم أخذ الناس في البنيان. وكان مسجد قباء أول مسجد بني في الإسلام.

(٢) في غير سيرة ابن إسحاق : أن رسول الله ﷺ صلى بهم في بطن الوادي في بني سالم.

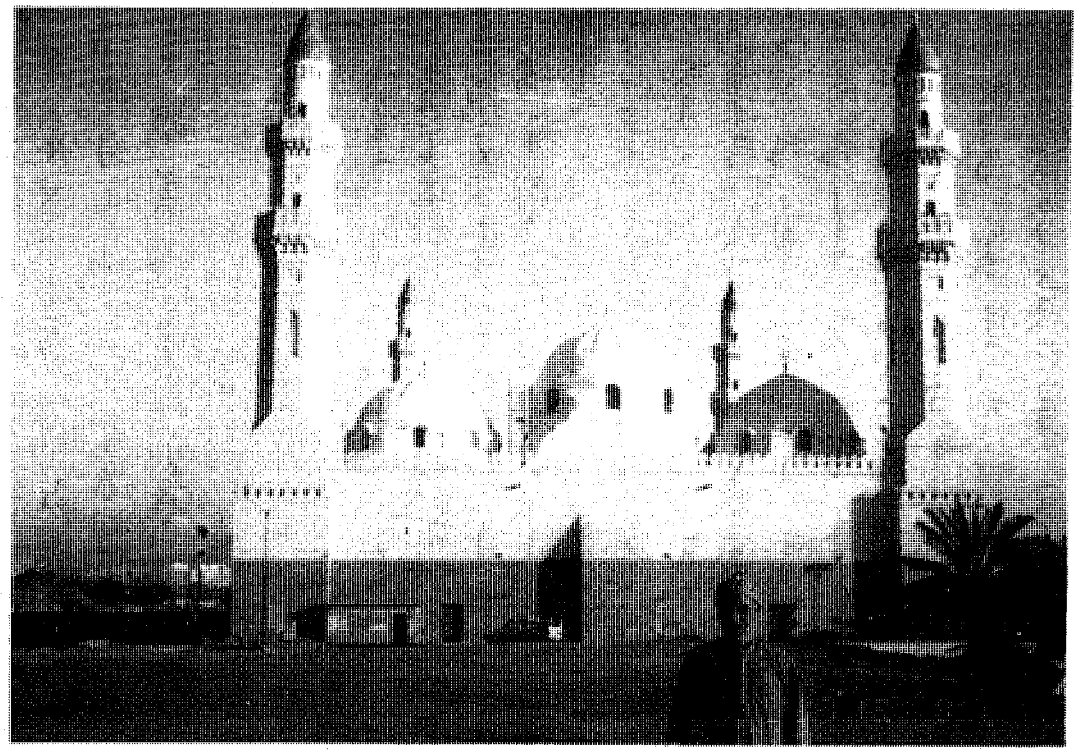
اعتراض القبائل له ﷺ تبغي نزوله عندها

« فأتاه عِتْبان بن مالك، وعبَّاس بن عُبادة بن نَضلة في رجال من بني سالم بن عوف، فقالوا : يا رسول الله. أقم عندنا في العدد والعدّة والمَنَعَة؛ قال : خلُّوا سبيلَها، فإنها مأمورة، لناقته : فخلُّوا سبيلها، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني بَياضَة، تلقَّاه زياد بن لَبيد، وفَرْوة بن عمرو، في رجال من بني بَياضَة فقالوا : يا رسول الله : هلمّ إلينا، إلى العدد والعدّة والمَنَعَة؛ قال : خلوا سبيلها فانها مأمورة، فخلَّوا سبيلها. فانطلقت، حتى إذا مرّت بدار بني ساعدة، اعترضه سعدُ بن عُبادة، والمنذر بن عمرو، في رجال من بني ساعدة، فقالوا : يا رسول الله، هلمّ إلينا إلى العدد والعدّة والمنعة؛ قال : خلوا سبيلها، فانها مأمورة، فخلَّوا سبيلَها، فانطلقت، حتى إذا وازنت دارَ بني الحارث بن الخزرج، اعترضه سعدُ بن الربيع، وخارجةُ بن زيد، وعبدالله بن رَوَاحة، في رجال من بني الحارث بن الخزرج فقالوا : يا رسول الله هلمّ إلينا إلى العدد والعدة والمنعة قال : خلوا سبيلها، فانها مأمورة، فخلوا سبيلها. فانطلقت، حتى إذا مرّت بدار بني عديّ بن النجّار، وهم أخواله دِنْيا — أم عبد المطلب، سَلْمى بنت عمرو، إحدى نسائهم — اعترضه سَليط بن قيس، وأبو سَليط، أُسَيرة ابن أبي خارجة، في رجال من بني عديّ بن النجّار، فقالوا : يا رسول الله، هلمّ إلى أخوالك، إلى العدد والعدّة والمنعة؛ قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة، فخلوا سبيلها، فانطلقت.

مبرك ناقته ﷺ بدار بني مالك بن النجار

« حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجّار، بركت على باب مسجده ﷺ، وهو يومئذ مِرْبد[1] لغلامين يتيمَيْن من بني النجّار، ثم من بني مالك بن النجّار، وهما في حِجْر مُعاذ بن عفراء، سَهْل وسُهيل ابني عمرو.

(١) المربد : الموضع الذي يجفف فيه التمر.



مسجد قباء اليوم بالمدينة المنورة

فلما بركت، ورسولُ الله ﷺ عليها لم ينزل، وثبت فسارت غيرَ بعيد، ورسول الله ﷺ واضع لها زِمامها لا يَثْنيها به، ثم التفت إلى خلفها، فرجعت إلى مبركها أوّل مرّة، فبركت فيه، ثم تحلْحلتْ وزمَّتْ ووضعتْ جِرانها[1]، فنزل عنها رسول الله ﷺ، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحلَه، فوضعه في بيته، ونزل عليه رسولُ الله ﷺ، وسأل عن المِرْبد لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل وسُهيل ابني عمرو، وهما يتيمان لي، وسأرضيهما منه، فاتخذْه مسجداً».

بناء مسجد المدينة ومساكنه ﷺ

«قال: فأمر به رسول الله ﷺ أن يُبنى مسجداً، ونزل رسول الله ﷺ على أبي أيُّوب حتى بنى مسجده ومساكنه، فعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغِّب المسلمين في العمل فيه، فعمل فيه المهاجرون والأنصار، ودأبوا فيه، فقال قائل من المسلمين:

لئنْ قعدْنا والنَّبيُّ يَعْمَلُ ... لذاك منَّا العملُ المضلَّلُ

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون:

لا عيش إلا عيش الآخرة ... اللّهمّ ارحم الأنصار والمهاجرة

«قال ابن هشام: هذا كلام وليس برجز.

«قال ابن إسحاق: فيقول رسول الله ﷺ: لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهمّ ارحم المهاجرين والأنصار».

منزله ﷺ من بيت أبي أيوب

«قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب، حتى

---

(١) الجران: ما يصيب الأرض من صدر الناقة وباطن حلقها.

بُني له مسجدُه ومساكنه، ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبي أيوب، رحمة الله عليه ورضوانه ».

تلاحق المهاجرين إلى الرسول ﷺ بالمدينة

« قال ابن إسحاق : وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ، فلم يبق بمكة منهم أحد، إلا مفتون أو محبوس ».

انتشار الإسلام ومن بقي على شركه

« قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة إذ قَدِمها شهرَ ربيع الأوّل، إلى صفر من السنة الداخلة، حتى بُني له فيها مسجدهُ ومساكنه، واستجمع له إسلام هذا الحيّ من الأنصار، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها، إلا ما كان من خَطْمة، وواقف، ووائل، وأُميَّة، وتلك أوس الله، وهم حيّ من الأوس، فانهم أقاموا على شركهم ».

أول خطبة عليه الصلاة والسلام

« وكانت أوّل خطبة خطبها رسول الله ﷺ، فيما بلغني عن أبي سَلَمة ابن عبد الرحمن — نعوذ بالله أن نقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل — أنه قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال : أما بعد، أيها الناس، فقدّموا لأنفسكم. تَعَلَّمُنَّ والله لَيُصْعَقَنّ أحدكم، ثم لَيَدَعَنّ غَنَمه ليس لها راع، ثم ليقولنّ له ربه، وليس له تَرجمان ولا حاجبٌ يحجبُه دونه : ألم يأتك رسولي فبلّغك، وآتيتك مالاً وأفضلت عليك؟ فما قدّمتَ لنفسك ؟ فلينظرنّ يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لينظرنّ قدامه فلا يرى غير جهنم. فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشقّ من تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها، إلى سبع مئة ضعف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ».

خطبته الثانية ﷺ

« قال ابن إسحاق : ثم خطب رسولُ الله ﷺ الناس مرّة أخرى، فقال : إنّ الحمدَ لله، أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إنّ أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى، قد أفلح من زَيَّنه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسنُ الحديث وأبلغه، أحبُّوا ما أحبّ الله، احبُّوا الله من كلّ قلوبكم، ولا تملُّوا كلام الله وذكرَه، ولا تَقْسُ عنه قلوبكم، فانه من كلّ ما يخلق الله يختار ويصطفي، قد سماه الله خيرته من الأعمال، ومُصطفاه من العباد، والصالح من الحديث؛ ومن كلّ ما أوتي الناس الحلالُ والحرام، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتقوه حقّ تقاته، واصدُقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابُّوا بروح الله بينكم، إن الله يغضب أن يُنكَث عهدُه، والسلام عليكم ».

أقول : هذه أحداث الهجرة النبوية الشريفة...

ذكرناها تفصيلاً لا إجمالاً؟!

لأنها جزء خطير من حياة مُصعب بن عمير...

عاشها... وشارك فيها... مهاجراً... ومستقبلاً بالمدينة المنورة... لأشرف الخلْق... ﷺ...

وعاملاً مع العاملين في بناء مسجد رسول الله... ﷺ...

وثاوياً بعد ذلك... الى جواره... ﷺ...

ينتظر كما ينتظر أصحابه... رضي الله عنهم...

أن يأمرهم... ﷺ... بما شاء...

فتراهم يتسابقون إلى أمره... ﷺ... طوعاً...

وحُبًّا... وتوقيراً... وتعظيماً!!!

البطل...
في غزوة...
بدر الكبرى...؟!

ثم إنّ رسول الله... ﷺ... سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام... في عير لقريش عظيمة... فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم... وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون...

« قالوا : لما سمع رسول الله... ﷺ... بأبي سفيان مقبلاً من الشام... ندب المسلمين إليهم...

« وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم... فاخرُجوا إليها لعل الله يُنْفِلكموها...

« فانتدب الناس... فخفّ بعضهم... وثقُل بعضهم... وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله... ﷺ... يَلقى حرْباً...

« وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار... ويسأل مَن لقي من الركبان تخوّفاً على أمر الناس... حتى أصاب خبراً من بعض الركبان : أن محمداً قد استنفد أصحابه لك ولعيرك... فحَذِر عند ذلك...

« فاستأجر ضمْضَم بن عمرو الغفاريّ... فبعثه إلى مكة... وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم... ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه...

« فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة... »

تجهيز قريش للخروج؟!

« فتجهز الناس سراعاً...

« فكانوا بين رجلَيْن... إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً... »

خروج رسول الله... ﷺ؟!

« وخرج رسول الله... ﷺ... في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه...

« خرج يوم الأثنين لثمان ليال خلَوْن من شهر رمضان... »

مصعب يحمل اللواء؟!

« ودفع اللواء إلى مُصْعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار...

« وكان أبيض... »

رايتا رسول الله... ﷺ؟!

« وكان أمامَ رسول الله... ﷺ... رايتان سوداوان... احداهما مع عليّ ابن أبي طالب... يقال لها : العُقاب... والأخرى مع بعض الأنصار... »

طريق المسلمين إلى بدر؟!

« وكانت إبل أصحاب رسول الله... ﷺ... يومئذ سبعين بعيراً... فاعتقبوها... فكان رسول الله... ﷺ... وعليّ بن أبي طالب ومَرْثَد بن أبي مَرْثَد يَعْتَقبون بعيراً...

« فسلك طريقه من المدينة إلى مكة... على نَقْب المدينة... ثم على العقيق... ثم على ذي الحُليفة...

« حتى إذا كان بالمُنْصَرَف ترك طريق مكة بيَسار... وسلك ذات اليمين... يريد بدراً... »

أبو بكر وعُمر والمقداد... وكلماتهم في الجهاد؟!

« وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم... فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش...

« فقام أبو بكر الصدّيق، فقال وأحسن. ثم قال عمرُ بن الخطّاب، فقال وأحسن، ثم قام المِقْداد بن عمرو فقال : يا رسول الله، امْض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿اذْهَب أنْتَ وَرَبُّكَ فقاتلا، إنَّا هَهُنا قاعدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]. ولكن اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنا معكما مُقاتلون، فوالذي بعثك بالحقّ لو سرْت بنا إلى بَرْك الغماد[1] لجالدنا معك من دونه، حتى تَبْلُغه؛ فقال له رسولُ الله ﷺ خيراً، ودعا له به ».

---

(١) برك الغماد : موضع بناحية اليمن.

استيثاق الرسول ﷺ من أمر الأنصار

« ثم قال رسول الله ﷺ : أشيروا عليّ أيها الناس. وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عددُ الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة، قالوا : يا رسول الله : إنا بُرآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلتَ إلينا، فأنت في ذمَّتنا نمنعك ممَّا نمنع منه أبناءَنا ونساءَنا. فكان رسول الله ﷺ يتخوّف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرَه إلا ممن دَهمه بالمدينة من عدوّه، وأن ليس عليهم أن يَسير بهم إلى عدوّ من بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال له سعدُ بن مُعاذ : والله لكأنك تريدُنا يا رسول الله؟ قال أجل؛ قال : فقد آمنَّا بك وصدّقناك، وشَهدنا أن ما جئتَ به هو الحقّ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السَّمع والطاعة، فامضِ يا رسول اللهَ لما أردتَ فنحن معك، فوالذي بعثكَ بالحقّ، لو استعرضتَ بنا هذا البحر فخُضتَه لخُضناه معك، ما تخلَّف منا رجلٌ واحد، وما نكره أن تَلْقى بنا عدوَّنا غَدا، إنا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدق في اللقاء. لعلّ الله يريك منَّا ما تقرُّ به عينك، فسرْ بنا على بَرَكة الله. فسُرّ رسولُ الله ﷺ بقول سَعد، ونشَّطه ذلك؛ ثم قال : سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظرُ إلى مَصارع القوم ».

التقاء الفريقين؟!

« ثم تزاحف الناس...

« ودنا بعضهم من بعض...

« وقد أمر رسول الله... ﷺ... أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم...

« وقال : **إن اكتَنَفَكم** القوم فانضحُوهم عنكم بالنَّبل...

« ورسول الله... ﷺ... في العريش... معه أبو بكر الصديق...

« فكانت وقعة بدر يوم الجمعة... صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان... »

مناشدة الرسول ربه النصر؟!

« ثم عدّل رسول الله... ﷺ... الصفوف ورجع إلى العريش فدخله، ومعه فيه أبو بكر الصدّيق، ليس معه فيه غيرُه، ورسول الله ﷺ يُناشد[1] ربَّه ما وَعده من النصر، ويقول فيما يقول: اللهمّ إن تَهْلك هذه العصابةُ اليومَ لا تُعبد، وأبو بكر يقول: يا نبيّ الله: بعضَ مناشدتك ربك، فإن الله مُنْجز لك ما وعدك. وقد خفق[2] رسول الله ﷺ خفقة وهو في العريش، ثم انتبه فقال: أبشرْ يا أبا بكر، أتاك نصرُ الله. هذا جبريل آخذٌ بعنان فرس يقوده، على ثَناياه النَّقْع[3].

تحريض المسلمين على القتال

« قال: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرّضهم، وقال: والذي نفسُ محمد بيده، لا يُقاتلهم اليومَ رجلٌ فيُقتل صابراً محتسباً، مُقبلاً غيرَ مُدبر، إلاّ أدخله الله الجنة. فقال عُمير بن الحُمام، أخو بني سَلمة، وفي يده تمرات يأكلهنّ: بَخ بَخْ[4]، أفما بيني وبين أن أدخلَ الجنَّة إلا أن يقتُلني هؤلاء، ثم قذف التَّمرات من يده وأخذ سيفَه، فقاتل القوم حتى قُتل.

(١) يناشد ربه: يسأله ويرغب إليه.

(٢) خفق: نام نوماً يسيراً.

(٣) النقع: الغبار.

(٤) بخ (بكسر الخاء وإسكانها) كلمة تقال في موضع الإعجاب.

استفتاح أبي جهل بالدعاء

« قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مُسلم بن شهاب الزهريّ، عن عبدالله بن ثعلبة بن صُعير العُذريّ، حليف بني زُهرة، أنه حدثه : أنه لمَّا التقى الناسُ، ودنا بعضُهم من بعض، قال أبو جهل بن هشام : اللهمّ أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا يُعرف، فأحنه[1] الغداة. فكان هو المُسْتفتح[2] ».

رمي الرسول للمشركين بالحصباء

« قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشاً بها، ثم قال : شاهتِ الوجوه، ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه، فقال : شدُّوا؛ فكانت الهزيمة، فقتلَ الله تعالى من قَتل من صناديد قريش، وأسرَ منْ أسر من أشرافهم. فلما وضع القومُ أيديهم يأسرون ورسول الله ﷺ في العَريش، وسعدُ بن مُعاذ قائم على باب العريش، الذي فيه رسول الله ﷺ، متوشِّحَ السيفِ، في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ، يخافون عليه كرّة العدوّ، ورأى رسولُ الله ﷺ ــ فيما ذُكر لي ــ في وجه سعد بن مُعاذ الكراهية لما يصنعُ الناس، فقال له رسول الله ﷺ : والله لكأنك يا سعدُ تكره ما يصنع القوم، قال : أجل والله يا رسول الله، كانت أوّل وقعة أوقعها الله بأهل الشِّرك، فكان الإثخان في القتل بأهل الشِّرك أحبَّ إليّ من استبقاء الرجال ».

---

(١) أحنه : أهلكه.

(٢) المستفتح : الحاكم على نفسه بهذا الدعاء.

شعار المسلمين ببدر؟!

« وكان شعار (علامة) أصحاب رسول الله... ﷺ... يوم بدر : **أَحَدٌ أَحَدٌ...** »

طرح المشركين في القليب؟!

« عن عائشة قالت : لما أمر رسول الله... ﷺ... بالقتلى أن يُطرحوا في القليب (البئر)... طُرحوا فيه... إلا ما كان من أميَّة بن خَلَف... فإنه انتفخ في درعه فملأها.. فأقرّوه... وألقوا عليه ما غيَّبه من التراب والحجارة... »

أتُنادي قوماً قد جيَّفوا؟!

« فلمَّا ألقاهم فِي القَلِيب، وقف عليهم رسول الله ﷺ، فقال : يأهل القَليب، هل وجدتم ما وَعدكم ربُّكم حقًّا؟ فاني قد وجدتُ ما وعدني ربي حقًّا. قالت : فقال له أصحابه : يا رسول الله، أتكلِّم قوماً موتى؟ فقال لهم : لقد علموا أن ما وعدهم ربُّهم حقاً.

« قالت عائشة : والناس يقولون : لقد سَمعوا ما قلتُ لهم، وإنما قال لهم رسولُ الله ﷺ : لقد علموا.

« قال ابن إسحاق : وحدثني حُميد الطَّويل. عن أنس بن مالك، قال : سمع أصحابُ رسول الله ﷺ، رسولَ الله ﷺ من جَوْف اللّيل وهو يقول : يأهل القليب، يا عُتبَةُ بن ربيعة، ويا شَيْبةُ بن ربيعة، ويا أُميَّةُ ابن خلف، ويا أبا جهل بن هشام، فعدّد من كان منهم في القليب : هل وجدتم ما وعد ربُّكم حقًّا؛ فاني قد وجدتُ ما وعدني ربي حقًّا؟

فقال المسلمون : يا رسولَ الله، أتُنادي قوماً قد جيَّفوا[1]؟ قال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يُجيبوني.

« قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ أهل العلم : أن رسول الله ﷺ قال يوم هذه المقالة : يأهل القَلِيب، بئس عَشِيرةُ النبيّ كنتم لنبيِّكم، كذّبتموني وصدّقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتُموني ونَصرني الناس؛ ثم قال : هل وجدتم ما وَعدكم ربُّكم حقاً؟ للمقالة التي قال ».

أقول : هذه بعض أحداث الغزوة العظمى... غزوة بدر الكبرى...

حيث كان مصعب بن عمير... يحمل اللواء... ويتقدم الصفوف... ثم ماذا؟!

---

(١) جيفوا، أي صاروا جيفاً.

موقف البطل...
من أخيه...
« أبو عَزيز بن عُمَير »...؟!

ثم أقبل رسول الله... ﷺ... قافلاً الى المدينة...

« ومعه الأسارى من المشركين...

« واحتمل رسول الله... ﷺ... معه النَّفَل الذي أُصيب من المشركين...

« ثم أقبل رسول الله... ﷺ... حتى إذا خرج من مَضيق الصفراء... نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية...

« فقسم هنالك النَّفَل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء...

« ثم ارتحل رسول الله... ﷺ... حتى إذا كان بالرّوحاء لقيه المسلمون يُهنِّئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين... »

شقيق مُصْعَب في الأسارى؟!

« قال ابن اسحاق : وحدثني نُبيه بن وهب... أخو بني عبد الدار...

« أن رسول الله... ﷺ... حين أقبل بالأسارى فرّقهم بين أصحابه...

« وقال : استَوْصوا بالأُسارى خيراً..

« قال : وكان أبو عزيز بن عُمَير بن هاشم... أخو مُصْعب بن عمير لأبيه وأمه في الأُسارى... »

البطل... يغلظ... على شقيقه؟!!

« قال : فقال أبو عزيز : مرّ بي أخي مُصْعب بن عُمير... ورجل من الأنصار يأسِرني...

« فقال : شُدَّ يديك به... فإن أُمَّه ذات متاع... لعلّها تَفْديه منك!!!

« قال : وكنتُ في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بَدْر...

« فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخُبز... وأكلوا التَّمر... لوصيَّة رسول الله... ﷺ... إياهم بنا...

« ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحَني بها...

« قال : فأستَحيي فأردّها على أحدهم...

فيردّها عليّ ما يمسّها »!!!

البطل يتبرأ من أخيه؟!

« قال ابن هشام :

« وكان أبو عزيز... صاحبَ لواء المشركين ببدر... بعد النّضر بن الحارث...

« فلما قال أخوه... مُصعب بن عُمير... لأبي اليَسَر... وهو الذي أسره... ما قال... قال له أبو عزيز :

« يا أخي... هذه وَصَاتُك بي؟!...

« فقال لهُ مُصْعَب : إنه أخي دونك!!!

« **فسألتْ أمُّه عن أغلى ما فُدِي به قرشيّ...**

« **فقيل لها : أربعة آلاف درهم...**

« **فبعثتْ بأربعة آلاف درهم... ففدته بها[1]... »**

(١) واسم أبو عزيز : زرارة... وأُمّه التي أرسلت في فدائه : أم الخناس بنت مالك العامرية... وهي أم أخيه مصعب!!!

بَطَلٌ...
شَهِدَ...
بَدْراً...؟!

دِينٌ بلا دولة... كروحٍ بلا جسم!!!

فرغم أن الروح أشرف من الجسم... إلا أنها تظل لا قيمة لها... حتى تتمثل في جسم... فتظهر خصائصها للعيان...

كذلك الإسلام... إذا لم يظهر في دولة... يظل شيئاً شريفاً ولكن لا ظهور له في عالم الواقع...

ومن هنا كان اصرار الإسلام... على حتمية قيامه بتمامه في دولة... تؤمن به... وتطبقه تطبيقاً تاماً في كل شئونها... دولياً وداخلياً... وعقيدة وتشريعاً... وأخلاقاً ومعاملات...

ومن هنا تأتي خطورة غزوة بدر الكبرى...

لأنها نقطة الانطلاق لهذا الدين الجديد... دين الإسلام...

فرَّقت بين الحق والباطل...

فجندلت أشراف قريش... وألقتهم جيفاً منتنة في القليب...

وفزَّعت قريشاً المتغطرسة... وجعلتها تنوح على قتلاها وتندب!!!

هذا في مكة... أما في المدينة... فرفعت رأس المؤمنين عالية... وشمخت بالمسلمين الى السماء...

فرُعِب هنالك المنافقون...

وزُلزِل اليهود وأتباعهم...

وعلموا جميعاً أن هذا الدين حقٌّ... وأنه لا يقاوم... لأنه كلمة الله... وكلمة الله هي العليا!!!

وَوَلْوَل أعداء الإسلام ها هنا وهناك... وقالوا يا وَيْلاه!!!

من هنا حتَّم الإسلام قيام الدولة... لتتصدى بإمكانياتها مجتمعة لأهل الباطل... وتذيقهم الويل...

وتضرب أعناقهم الغليظة... أعناق الخنازير!!!

إن أي فكرة... تظل ثرثرة يثرثرها قائلوها... حتى تتحول إلى مبدأ تعتنقه دولة ما...

هنالك يلتفت اليها العالم... ويحسب لها ألف حساب!!!

وهذا ما فعلته معركة بدر...

دوَّت في جزيرة العرب كلها... وتحدثت الجزيرة أن محمداً... وأصحابه... هزموا قريشاً... سادة العرب!!!

ومن هنا نعلم لماذا نزلت « سورة الأنفال » العظيمة كلها تتحدث عن غزوة بدر!!!

لأنها معركة الطليعة...

معركة الفرقان...

معركة قيام دولة القرآن!!! »

نزول سورة الأنفال

ما نزل في تقسيم الأنفال

« قال ابن اسحاق : فلما انقضى أمرُ بدر، أنزل الله عزّ وجلّ فيه من القرآن الأنفال بأسرها، فكان مما نزل منها في اختلافهم في النَّفل

حين اختلفوا فيه : ﴿**يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنْفالِ، قُلِ الأنْفالُ للهِ والرَّسولِ، فاتَّقوا اللهَ وأصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مؤْمِنين**﴾.
[الأنفال : ١]

« فكان عُبادة بن الصَّامت ــ فيما بلغني ــ إذا سُئل عن الأنفال، قال : فينا معشرَ أهل بدر نزلَت، حين اختلفنا في النَّفل يوم بدر، فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقُنا؛ فردّه على رسول الله ﷺ، فقسمه بيننا عن بَواء ــ يقول : على السواء ــ وكان في ذلك تقوى الله وطاعته، وطاعةُ رسوله ﷺ، وصلاحُ ذات البينِ.

ما نزل في خروج القوم مع الرسول لملاقاة قريش

« ثم ذكر القوم ومسيرهم مع رسول الله ﷺ حين عرف القومُ أنّ قريشاً قد ساروا إليهم، وإنما خرجوا يريدون العير طمعاً في الغنيمة، فقال : ﴿**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بالحَقّ، وَإنَّ فَرِيقاً من المُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ. يُجَادِلُونَكَ في الحَقّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كأنَّمَا يُسَاقُونَ الى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُون**﴾ : أي كراهية للقاء القوم، وإنكاراً لمسير قريش، حين ذُكروا لهم ﴿**وإذْ يَعِدُكُم اللهُ إحدَى الطَّائِفَتَيْنِ أنَّهَا لَكُمْ، وَتَوَدُّون أنَّ غيرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ**﴾ : أي الغنيمة دون الحرب ﴿« **وَيُرِيدُ اللهُ أن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ، وَيَقْطَعَ دَابرَ الكافِرِينَ**﴾ : أي بالوقعة التي أوقع بصناديد قريش وقادتهم يومَ بدر ﴿**إذْ تَستَغِيثُونَ رَبَّكُمْ**﴾: أي لدعائهم حين نظروا إلى كثرَة عدوّهم، وقلَّة عددهم ﴿**فاسْتَجَابَ لَكُمْ**﴾ بدعاء رسول الله ﷺ ودعائكم ﴿« **أنّي مُمِدُّكُمْ بألْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ... إذْ يُغَشّيكُمُ النُّعاسَ أمَنَةً مِنْهُ**﴾ : أي أنزلت عليكم الأمنة حين نمتم لا تخافون ﴿**ويُنَزّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً**﴾ للمطر الذي أصابهم تلك الليلة، فحبسَ المشركين أن يسبقوا إلى الماء، وخلّى سبيل المسلمين إليه ﴿**لِيُطَهّرَكُمْ بهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ، وَلِيَرْبِطَ على قُلُوبِكُمْ ويُثَبّتَ بهِ الأقدام**﴾ [الأنفال : ٥ ــ ١١] : أي ليذهب عنكم شكّ الشيطان، لتخويفه إياهم

عدوّهم، واستجلاد[1] الأرض لهم، حتى انتهوا الى منزلهم الذي سبقوا إليه عدوّهم ».

ما نزل في تبشير المسلمين بالمساعدة والنصر، وتحريضهم

« ثم قال تعالى : ﴿**إذْ يُوحِي رَبُّكَ إلى المَلائِكَةِ أنّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الّذينَ آمَنُوا**﴾ : أي آزروا الذين آمنوا ﴿**سأُلْقي في قُلُوبِ الّذِينَ كَفَروا الرُّعْبَ، فاضْرِبُوا فَوْقَ الأعْناقِ، وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ. ذلكَ بأنَّهُمْ شاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فإنَّ اللهَ شَديدُ العِقَابِ**﴾، ثم قال : ﴿**يَاأيُّها الّذِينَ آمَنوا إذَا لَقِيتُمُ الّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الأدْبَارَ. وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاَّ مُتَحَرّفا لقتالٍ أوْ متحيِّزاً إلى فئةٍ، فَقَدْ باءَ بغضَبٍ منَ اللهِ، ومَأواهُ جهنَّمُ وبِئْسَ المصيرُ**﴾ [الأنفال : ١٥ ـــ ١٦] : أي تحريضاً لهم على عدوّهم لئلا ينكُلوا عنهم إذا لقوهم، وقد وعدهم الله فيهم ما وعدهم ».

ما نزل في رمي الرسول للمشركين بالحصباء

« ثم قال تعالى في رمي رسول الله ﷺ إياهم بالحَصباء من يده، حين رماهم : ﴿**ومَا رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى**﴾: أي لم يكن ذلك برميتك، لولا الذي جعل الله فيها من نَصرك، وما ألقى في صدور عدوّك منها حين هزمهم الله ﴿**وَلِيُبْلِي المُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسناً**﴾ [الأنفال : ١٧] : أي ليُعرّف المؤمنين من نعمته عليهم في إظهارهم على عدوّهم، وقلّة عددهم، ليعرفوا بذلك حقّه، ويشكروا بذلك نعمته ».

---

(١) استجلاد الأرض : شدتها.

ما نزل في الاستفتاح

« ثم قال : ﴿إن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الفتْحُ﴾ : أي لقول أبي جهل : اللهمَّ أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا يعرف، فأحِنه الغداة. والاستفتاح : الإنصاف في الدعاء.

« يقول الله جلّ ثناؤه : ﴿وَإن تَنْتَهُوا﴾ : أي لقريش ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإنْ تَعُودُوا نَعُدْ﴾ : أي بمثل الوَقعة التي أصبناكم بها يوم بدر : ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وأنَّ اللهَ معَ المُؤْمِنينَ﴾ [الأنفال : ١٩] : أي إن عددَكم وكثرتكم في أنفسكم لن تُغني عنكم شيئاً، وإني مع المؤمنين، أنصُرهم على من خالفهم ».

ما نزل في حض المسلمين على طاعة الرسول

« ثم قال تعالى : ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلاَ تولَّوْا عَنْهُ وأنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ : أي لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله، وتزعمُون أنكم منه، ﴿ولاَ تكونوا كالَّذينَ قالُوا سَمِعْنا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ : أي كالمنافقين الذين يُظهرون له الطاعة، ويسرّون له المعصية ﴿إنَّ شَرَّ الدَّوابّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ : أي المنافقون الذي نهيتكم أن تكونوا مثلهم، بُكْمٌ عن الخير، صُمّ عن الحقّ، لا يعقلون : لا يعرفون ما عليهم في ذلك من النِّقمة والتَّباعة(١) ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسمَعَهُمْ﴾، أي لأنفذ لهم قولهم الذي قالوا بألسنتهم، ولكنّ القلوب خالفت ذلك منهم، ولو خرجوا معكم ﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾، ما وفوا لكم بشيء ممَّا خرجوا عليه. ﴿يَأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وللرَّسُولِ إذَا دَعاكُمْ لِمَا يحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال : ٢٠ ــ ٢٤] : أي للحرب التي أعزّكم الله بها بعد الذلّ، وقوّاكم بها بعد الضعف، ومنعكم بها من عدوّكم

---

(١) التباعة : والتبعة : طلب المرء بما ارتكب من مظالم.

بعد القهر منهم لكم، ﴿وَاذْكُرُوا إذْ أنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُون فِي الأرْضِ تخافُونَ أن يَتخَطَّفَكُمُ النَّاسُ، فَآوَاكُمْ وأيَّدَكُمْ بنَصْرِهِ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. يَاأَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وَتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنتُمْ تَعْلَمُون﴾ [الأنفال: ٢٦ ــ ٢٧] أي لا تظهروا له من الحقّ ما يرضى به منكم، ثم تخالفوه في السرّ إلى غيره، فان ذلك هلاكٌ لأماناتكم، وخيانةٌ لأنفسكم. ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقانا، ويُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [الأنفال : ٢٩] : أي فَصْلاً بين الحقّ والباطل، ليُظهر الله به حقَّكم، ويُطفئ به باطل من خالفكم ».

ما نزل في ذكر نعمة الله على الرسول

« ثم ذكَّر رسول الله ﷺ بنعمته عليه، حين مكر به القومُ ليقتلوه أو يثبتوهُ أو يخرجوه ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ، واللهُ خَيْرُ المَاكِرِيـنَ﴾ [الأنفال : ٣٠] : أي فمكرت بهم بكيدي المتين حتى خلَّصتك منهم ».

ما نزل في غرة قريش واستفتاحهم

« ثم ذكر غرَّة قريش واستفتاحهم على أنفسهم، إذ قالوا : ﴿اللَّهم إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ أي ما جاء به محمد ﴿فأمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّماءِ﴾ كما أمطرتها على قوم لوط ﴿أو ائْتِنا بعَذَابٍ أليمٍ﴾ أي بعض ما عذّبت به الأمم قبلنا، وكانوا يقولون : إن الله لا يعذّبنا ونحن نستغفره، ولم يعذّب أمةً ونبيُّها معها حتى يُخرجه عنها. وذلك من قولهم ورسولُ الله ﷺ بين أظهرهم، فقال تعالى لنبيه ﷺ، يذكر جهالتهم وغرّتهم واستفتاحهم على أنفسهم، حين نعى سوءَ أعمالهم : ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ، ومَا كانَ اللهُ مُعَذّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي لقولهم : إنا نستغفر ومحمدٌ بين أظهرنا، ثم قال ﴿وَمَا لَهُمْ ألاَّ يُعَذّبَهُمُ اللهُ﴾ وإن كنتَ بين أظهرهم، وإن كانوا يستغفرون كما يقولون ﴿وَهُمْ

يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾ : أي من آمن بالله وعبده : أي أنت ومن أتبعك، ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ المُتَّقُونَ﴾ الذين يُحرّمون حُرمته ويقيمون الصلاة عنده : أي أنت ومن آمن بك ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمونَ. وَمَا كانَ صَلاَتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ﴾ التي يزعمون أنه يُدفَع بها عنهم ﴿إِلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾.

[الأنفال : ٣٢ — ٣٥]

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

« قال ابن هشام : المكاء : الصفير. والتصدية : التصفيق.

« قال ابن اسحاق : وذلك ما لا يُرضي الله عزّ وجلَّ ولا يحبُّه، ولا ما افترض عليهم، ولا ما أمرهم به ﴿فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُم تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال : ٣٥] : أي لما أوقع بهم يوم بدر من القتل ».

المدة بين ﴿يا أيها المزمل﴾ وبدر

« قال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عبَّاد بن عبدالله بن الزُّبير، عن أبيه عبَّاد، عن عائشة قالت : ما كان بين نُزول : ﴿يأَيُّها المُزَّمِّلُ﴾ [سورة المزمّل : ١]، وقول الله تعالى فيها : ﴿وَذَرْني والمُكَذِّبينَ أُولي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً. إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالاً وجَحيماً. وَطَعاماً ذا غُصَّةٍ وَعَذاباً أليماً﴾ [المزمل : ١١ — ١٣] إلا يسير، حتى أصاب اللهُ قريشاً بالوقعة يوم بدر ».

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الأنكال : القيود؛ واحدها : نِكْل.

ما نزل فيمن عاونوا أبا سفيان

« قال ابن اسحاق : ثم قال الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ

﴿يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال : ٣٦] يعني النفر الذين مَشوا إلى أبي سفيان، وإلى من كان له مالٌ من قريش في تلك التِّجارة، فسألوهم أن يُقوّوهم بها على حرب رسول الله ﷺ، ففعلوا.

« ثم قال : ﴿قُلْ للَّذِينَ كَفَرُوا إنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمَ ما قَدْ سَلَفَ وَإنْ يَعُودُوا﴾ [الأنفال : ٣٨] لحربك ﴿فقد مضت سُنَّةُ الأوَّلين﴾ أي من قُتل منهم يوم بَدر ».

الأمر بقتال الكفار

« ثم قال تعالى ﴿وقَاتلُوهم حتى لا تَكُونَ فتْنَةٌ وَيَكُونَ الدّينُ كُلّهُ للهِ﴾ : أي حتى لا يُفتن مؤمن عن دينه، ويكون التوحيد لله خالصاً ليس له فيه شريك، ويُخلَع ما دونه من الأنداد ﴿فإنِ انْتَهَوْا فإنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَإنْ تَوَلَّوْا﴾ عن أمرك إلى ما هم عليه من كفرهم ﴿فاعْلَمُوا أنَّ اللهَ مَوْلاكُمْ﴾ الذي أعزّكم ونصركم عليهم يوم بَدْر في كثرة عددهم وقلة عددكم ﴿نِعْمَ المَوْلى ونِعْمَ النَّصِير﴾.

[الأنفال : ٣٩ ــ ٤٠]

ما نزل في تقسيم الفيء

« ثم أعلمهم مقاسم الفيء وحُكْمَه فيه، حين أحلَّه لهم، فقال ﴿وَاعْلَمُوا أنَّمَا غَنِمْتُمْ مِن شَيْءٍ فَإنَّ للهِ خُمُسَهُ وللرَّسولِ وَلِذِي القُرْبَى واليَتامَى وَالمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيل إنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ باللهِ وَما أنْزَلْنا على عَبْدِنا يَوْمَ الفُرْقان يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ واللهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾ أي يوم فرقتُ فيه بين الحقّ والباطل بقُدرتي يوم التقى الجَمْعان منكم ومنهم ﴿إذْ أنتم بالعُدْوَةِ الدُّنْيا﴾ من الوادي ﴿وَهُمْ بالعُدْوَةِ القُصْوَى﴾ من الوادي الى مكة ﴿والرَّكْبُ أسْفَلَ منكُمْ﴾ : أي عِير أبي سفيان التي خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُم لاخْتَلَفْتُمْ

فِي المِيعَادِ﴾ أي ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرةُ عددهم، وقلةُ عددكم ما لقيتموهم ﴿**وَلكنْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً**﴾ أي ليقضي ما أراد بقُدرته من إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الكُفر وأهله عن غير بَلاء منكم فَفعل ما أراد من ذلك بلطفه، ثم قال ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأنفال : ٤١ ــ ٤٢] أي ليكفر من كفر بعد الحجَّة لما رأى من الآية والعبرة، ويؤمن من آمن على مثل ذلك.

ما نزل في لطف الله بالرسول

« ثم ذكر لطفه به وكيدَهُ له، ثم قال : ﴿**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ في مَنامِكَ قَلِيلاً، وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كثيراً لَفَشلْتُمْ وَلَتنازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلكنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾، فكان ما أراك من ذلك نعمةً من نعمه عليهم، شجَّعهم بها على عدوِّهم، وكفَّ بها عنهم ما تُخوِّف عليهم من ضعفهم، لعلمه بما فيهم.

﴿**وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ في أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ في أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً**﴾ [الأنفال : ٤٣ ــ ٤٤] : أي ليؤلِّف بينهم على الحرب للنِّقمة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على مَنْ أراد إتمام النِّعمة عليه، من أهل ولايته ».

ما نزل في وعظ المسلمين وتعليمهم خطط الحرب

« ثم وعظهم وفهَّمهم وأعْلمهم الذي ينبغي لهم أن يسيروا به في حربهم، فقال تعالى: ﴿**يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً**﴾ تقاتلونهم في سبيل الله عزّ وجلّ ﴿**فاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً**﴾ الذي له بذلتُم أنفسكم، والوفاءَ له بما أعطيتموه من بَيْعتكم ﴿**لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ**

تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ : أي لا تختلفوا فيتفرّق أمركم **﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾** أي وتذهب حدّتكم **﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** أي إني معكم إذا فعلتم ذلك **﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾** : أي لا تكونوا كأبي جهل وأصحابه، الذين قالوا : لا نرجع حتى نأتي بدراً فننحر بها الجزر ونُسقى بها الخمرَ، وتعزف علينا فيها القيانُ، وتسمعُ العربُ : أي لا يكون أمرُكم رياءً، ولا سُمْعة، ولا التماسَ ما عند الناس وأخلِصوا لله النيَّة والحِسْبة في نَصْر دينكم، وموازرة نبيِّكم، لا تعمَلوا إلا لذلك ولا تطلبوا غيره.

« ثم قال تعالى : **﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمالَهُمْ وَقالَ لا غالِبَ لَكُمُ اليَوْمَ منَ النَّاسِ، وَإِنّي جارٌ لَكُمْ﴾**.

[الأنفال : ٤٥ ــ ٤٨]

« قال ابن اسحاق : ثم ذكر الله تعالى أهلَ الكفر، وما يلقون عند موتهم، ووصفهم بصفتهم، وأخبر نبيَّه ﷺ عنهم، حتى انتهى إلى أن قال : **﴿فإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرون﴾** [الأنفال : ٥٧] أي فنكل بهم من ورائهم لعلَّهم يعقلون **﴿وأعِدُّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾**.. إلى قوله تعالى : **﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ، وأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾** : أي لا يَضيع لكم عند الله أجره في الآخرة، وعاجل خلفه في الدنيا ثم قال تعالى : **﴿وَإِنْ جَنَحُوا للسَّلْمِ فاجْنَحْ لَهَا﴾** : أي إن دَعَوْك إلى السَّلم على الإسلام فصَالحهم عليه **﴿وَتَوَكَّلْ على اللهِ﴾** إن الله كافيك **﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾**.

[الأنفال : ٦٠ ــ ٦١].

« قال ابن هشام : جنحوا للسَّلْم : مالوا إليك للسَّلْم. الجنوح : الميل. والسلم (أيضاً) : الصلح، وفي كتاب الله عزّ وجلّ : **﴿فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلى السَّلْمِ وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾** [محمد : ٣٥]، ويقرأ : **﴿إِلى السِّلمِ﴾**.

« قال ابن هشام: وبلغني عن الحسن بن أبي الحسن البَصْريّ، أنه كان يقول: ﴿وإنْ جَنَحُوا للسَّلْمِ﴾ للإسلام.

﴿وَإنْ يُرِيدُوا أنْ يَخْدَعُوكَ فإنَّ حَسْبَكَ اللهُ﴾ هو من وراء ذلك. ﴿هُوَ الَّذِي أيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾ بعد الضعف ﴿وَبالمؤمنينَ وألَّفَ بينَ قُلوبِهِمْ﴾ على الهدى الذي بعثك الله به إليهم ﴿لَوْ أنْفَقْتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعاً ما ألَّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ، وَلَكِنَّ اللهَ ألَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بدينه الذي جمعهم عليه ﴿إنَّهُ عزيزٌ حَكيمٌ﴾.

[الأنفال: ٦٢ — ٦٣]

« ثم قال تعالى: ﴿يَأيُّها النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ. يَأيُّها النَّبِيُّ حَرِّضِ المُؤْمِنِينَ على القتالِ، إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ، وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا ألْفاً من الَّذِينَ كَفَرُوا بأنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾: [الأنفال: ٦٤ — ٦٥] أي لا يُقاتلون على نيَّة ولا حقّ ولا معرفة بخير ولا شرّ.

« قال ابن اسحاق: حدثني عبدالله بن أبي نَجيح عن عَطاء بن أبي رَباح، عن عبدالله بن عباس قال: لمَّا نزلت هذه الآية اشتدّ على المسلمين، وأعظموا أن يُقاتل عشرون مئتين، ومِئةٌ الفاً، فخفَّف الله عنهم، فنسَختها الآية الأخرى، فقال: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً، فإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صابرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ، وَإنْ يَكُنْ مَنْكُمْ ألْفٌ يَغْلِبُوا ألْفَيْنِ بإذْنِ اللهِ، واللهُ معَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦]. قال: فكانوا إذا كانوا على الشَّطر من عدوّهم لم يَنْبَغِ لهم أن يفرّوا منهم، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالُهم وجاز لهم أن يتحوّزوا عنهم.

ما نزل في الأساري والمغانم

« قال ابن اسحاق: ثم عاتَبه الله تعالى في الأسارى، وأخذ المغانم، ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكلُ مغنماً من عدوّ له.

« قال ابن اسحاق: حدثني محمد أبو جعفر بن عليّ بن الحُسين،

قال: قال رسول الله ﷺ: نُصرت بالرُّعب، وجُعلت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً، وأُعطيت جوامع الكَلم، وأُحلَّت لي المغانم ولم تُحْلل لنبيٍّ كان قبلي، وأُعطيت الشَّفاعة، خمس لم يُؤتهنّ نبيّ قبلي.

«قال ابن اسحاق: فقال: ﴿**ما كان لِنَبِيٍّ**﴾: أي قبلك ﴿**أن يَكونَ لَهُ أسْرى**﴾ من عدوّه ﴿**حتى يُثْخِنَ في الأرضِ**﴾؛ أي يثخن[1] عدوّه، حتى ينفيه من الأرض ﴿**تُريدُون عَرَضَ الدُّنيا**﴾: أي المتاع، الفداء بأخذ الرجال ﴿**واللهُ يريد الآخرة**﴾: أي قَتْلهم لظُهور الدين الذي يريد إظهاره، والذي تُدرَك به الآخرة ﴿**لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ**﴾: أي من الأسارى والمغانم ﴿**عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾: أي لولا أنه سبق مني أني لا أعذّب إلا بعدَ النّهي ولم يَك نهاهم، لعذّبتكم فيما صنعتم، ثم أحلَّها له ولهم رحمةً منه، وعائدة من الرحمن الرحيم، فقال ﴿**فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾. ثم قال ﴿**يأيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إنْ يَعْلَمِ اللهُ في قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.

[الأنفال: ٦٧ ـــ ٧٠]

ما نزل في التواصل بين المسلمين

«وحضَّ المسلمين على التواصل، وجعل المهاجرين والأنصار أهلَ ولاية في الدين دون مَنْ سواهم، وجعل الكفَّار بعضهم أولياء بعض، ثم قال ﴿**إلاَّ تَفْعَلُوه تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ**﴾ [الأنفال: ٧٣] أي إلا يُوال المؤمن المؤمن من دون الكافر، وإن كان ذا رحم به: ﴿**تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ**﴾ أي شُبهة في الحقّ والباطل، وظهور الفساد في الأرض بتولي المؤمن الكافر دون المؤمن.

---

(١) الإثخان: التضييق على العدو.

« ثم ردّ المواريث الى الأرحام ممن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار دونهم إلى الأرحام التي بينهُم، فقال : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهاجَرُوا وجاهَدُوا مَعَكُمْ فأُولَئِكَ مِنْكُمْ، وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ﴾ أي بالميراث ﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.
[الأنفال : ٧٥]

أقول... هذه بعض اشعاعات سورة الأنفال... التي تحدثت عن المعركة العظمى... معركة الطليعة... معركة بدر...

وأستطيع أن أقول... إن معركة بدر... صاحبة فضل... على كل مسلم... وكل مسلمة... من لدن وقوعها... الى أن تقوم الساعة...

وإن الذين شهدوها... أصحاب فضل كذلك... على المسلمين والمسلمات جميعاً الى يوم القيامة...

ومن هنا كان أسلافنا رضي الله عنهم... اذا ترجموا لرجل ممن حضر بدراً... قالوا في تعظيم وتوقير : « وهو ممن شهد بدراً »!!!

اعترافاً بعظيم فضلهم على الأمة كلها الى قيام الساعة...

« قال ابن إسحاق : ومن بني عبد الدّار بن قصيّ[1] :

« مُصْعَب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قُصَيّ...

« وسُوَيْبِط بن سعد بن حُرَيملة بن مالك بن عُمَيْلة بن السَّبَّاق بن عبد الدار بن قُصَيّ...

« رجلان ».

أي حضر بدراً من بني عبد الدار رجلان... أحدهما مُصْعب... والثاني سُوَيْبط...

---

(١) أي ممن حضر بدراً من المهاجرين رضي الله عنهم.

ثم يقول :

« فجميع من شهد بدراً من المهاجرين... ومن ضرب له رسول الله... ﷺ بسهمه وأجره... ثلاثة وثمانون رجلاً... »

ثم يقول :

« فجميع من شهد بدْراً من المسلمين... من المهاجرين والأنصار... من شهدها منهم... ومن ضُرب له بسهمه وأجره...

« ثلاث مئة رجل... وأربعة عشر رجلاً...

« من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً...

« ومن الأوس واحد وستون رجلاً...

« ومن الخزرج مئة وسبعون رجلاً... »

أقول... هؤلاء الثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً...

وعلى رأسهم... رسول الله... ﷺ...

الذي لا يُقاس اليه أحد... ولا يدنو من مقامه بَشر...

هؤلاء في أعناق الأمة كلها من بعدهم... دَيْنٌ يجب أن يُؤَدَّى...

وأداء هذ الدَّيْن... أن نواصل ما بدءوا...

ومن هؤلاء الأكرمين...

بل وصاحب لواء رسول الله... ﷺ...

في تلك الغزوة العظمى...

مُصْعَب بن عُمَيْر...

فكيف كان مقامه؟!!!

في غزوة أُحُد...
مُصْعَب يحمل اللواء...
وأُمُّهُ في صفوف المشركين...؟!

ثُمَّ كانت غزوة أُحُد...

وجاءت قريش وأتباعها لتثأر لقتلاها في غزوة بدْر... وتمحو عار هزيمتها...

فكيف سارت الأحداث فيها؟...

وماذا كان موقع مُصْعَب في تلك الغزوة؟...

ولماذا خرجت أُمُّهُ في صفوف المشركين... تحرّضهم على قتال قوم من بينهم ابنها مُصْعَب؟!

غزوة أُحد

« لما أُصيب يوم بدر من كُفَّار قُريش أصحاب القَلِيب، ورَجع فلُّهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره، مشى عبدُالله بن أبي ربيعة، وعِكرمةُ بن أبي جَهل، وصفوان بن أُميَّة، في رجال من قريش، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلَّموا أبا سُفيان بن حرب، ومن كانت له في تلك العير من قُريش تجارة، فقالوا : يا مَعْشَر قُرَيْش، إن محمداً قد وتَركم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلَّنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منَّا، ففعلوا.

ما نزل في ذلك من القرآن

قال ابن إسحاق : ففيهم، كما ذكر لي بعضُ أهل العلم، أنزل الله تعالى : ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونها ثمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً، ثُمَّ يُغْلَبُون والَّذين كَفَرُوا إلى جَهَنَّم يُحْشَرُون﴾. [الأنفال : ٣٦]

اجتماع قريش للحرب

فاجتمعت قريشٌ لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان ابن حَرب، وأصحاب العير بأحابيشها، ومن أطاعها من قبائل كنانة، وأهل تهامة.

« ودعا جُبير بن مُطعم غلاماً له حبشِيًّا يقال له : وَحْشي، يَقْذِف بحربة له قَذْف الحبشة، قلَّما يخطىء بها، فقال له : أخرج مع الناس، فان أنت قَتلت عمّ محمد بعمِّي طُعَيمة بن عَديّ، فأنت عَتيق ».

خروج قريش معهم نساؤهم

« قال: فخرجت قريش بحَدّها وجَدّها وحَديدها وأحابِيشها، ومن تابعها من بني كنانة، وأهل تهامة، وخرجوا معهم بالظّعن (النساء)التماسَ الحَفيظة، والا يفروا. فخرج أبو سفيان بنُ حَرْب، وهو قائدٌ الناس، بهند بنت عتبة وخرج عِكْرمة بن أبي جَهل بأمّ حكيم بنت الحارث بن هشام بن المُغيرة وخرج الحارث بـن هشام بن المُغيرة بفاطمة بنت الوَليد بن المُغيرة، وخرج صَفوان بن أُميّة بِبَرْزة بنت مَسعود بن عمرو بن عُمير الثَّقَفيَّة، وهي أم عبدالله بن صَفْوان بـن أُميَّة.

« قال ابن إسحاق : وخرج عمرو بن العاص برَيْطة بنت مُنبِّه بن الحجَّاج وهي أم عبدالله بن عمرو، وخرج طَلْحة بن أبي طَلحة وأبو طَلْحة عبدُالله ابن عبدْ العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار، بسُلافة بنت سَعْد بن شُهَيْد

الأنصاريَّة وهي أمّ بني طَلحة : مُسافع والجُلاس وكِلاب، قُتِلوا يومئذ (هم) وأبوهم؛ **وخرجت خُناس بنت مالك بن المُضرب إحدى نساء بني مالك ابن حِسْل مع ابنها أبي عزيز بن عُمَير، وهي أمّ مَصْعب بن عمير؛** وخرجت عمْرة بنت عَلْقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كِنانة. وكانت هِنْد بنت عُتْبة كلَّما مرَّت بوَحشيّ أو مرّ بها، قالت : وَيْها[1] أبا دَسْمة أشْف واستَشْف، وكان وَحْشيّ يُكْنى بأبي دَسْمة، فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنَين، بجَبل ببطن السَّبْخة من قناة على شفير الوادي، مقابل المدينة ».

رؤيا رسول الله ﷺ

« قال: فلما سمع بهم رسولُ الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيثُ نزلوا، قال رسول الله ﷺ للمسلمين : إني قد رأيت والله خيراً، رأيتُ بقراً، ورأيتُ في ذباب سَيْفي ثَلماً، ورأيتُ أني أدخلتُ يدي في درْع حصينة، فأوّلتُها المدينة.

« قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم، أن رسول الله ﷺ قال : رأيت بقراً لي تُذْبح؟ قال : فأما البقر فهي ناس من أصحابي يُقتلون، وأما الثَّلم الذي رأيت في ذُباب سيفي، فهو رَجل من أهل بَيتي يُقتل » ».

مشاورة الرسول القوم في الخروج أو البقاء

« قال ابن إسحاق : فان رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فان أقاموا أقاموا بشرّ مُقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأيُ عبدالله بن أُبيّ بـن سَلول مع رأي رسول الله ﷺ، يَرَى رأيَه في ذلك، وألا يخرج إليهم، وكان رسول الله ﷺ يَكْره الخروج، فقال رجال من

---

(١) ويها : كلمة معناها الإغراء والتحضيض.

المسلمين، ممن أكرم الله بالشَّهادة يوم أُحُد وغيره، ممَّن كان فاته بدرٌ: يا رسول الله، أخرُج بنا إلى أعدائنا، لا يَرَون أنا جَبُنَّا عنهم وضَعُفنا؟ فقال عبدُ الله بن أُبيّ بن سَلول: يا رسول الله، أقم بالمدينة لا تخرُج إليهم، فوالله ما خرَجنا منها إلى عدوٍّ لنا قطُّ إلا أصاب مِنَّا، ولا دخلَها علينا إلا أصبْنا منه، فدعْهم يا رسولُ الله، فان أقاموا أقامُوا بشرِّ مَحْبِس وإن دَخلوا قاتلهم الرجالُ في وجههم، ورماهم النِّساء والصّبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رَجعوا رَجعوا خائبين كما جاءوا. فلم يَزَل النَّاسُ برسول الله ﷺ، الذين كان من أمرهم حبُّ لِقاء القوم، حتى دخل رسول الله ﷺ بيته، فلبس لأمته، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة. وقد مات في ذلك اليوم رجلٌ من الأنصار يُقال له: مالك بن عمرو، أحد بني النجَّار، فصلَّى عليه رسول الله ﷺ، ثم خرج عليهم، وقد ندم الناس، وقالوا: استَكْرهْنا رسول الله ﷺ، ولم يكن لنا ذلك. فلما خرج عليهم رسول الله ﷺ، قالوا: يا رسول الله: استَكْرهناك ولم يكن ذلك لنا، فان شئتَ فاقعُد صلى الله عليك، فقال رسول الله ﷺ: ما يَنْبغي لنبيّ إذا لَبِس لأمته أن يَضَعها حتى يُقاتل، فخرج رسول الله ﷺ في ألفٍ من أصحابه.

« قال ابن هشام: واستعمل ابنَ أُم مَكْتوم على الصَّلاة بالناس.

انخذال المنافقين

« قال ابن إسحاق: حتى إذا كانوا بالشَّوْط بين المدينة وأُحد، انخزل عنه عبدُالله بن أُبيّ بن سَلول بثُلث الناس، وقال: أطاعهم وعَصاني، ما نَدْري علامَ نَقْتُل أنفسنا ها هنا أيها الناس فرجع بمن اتَّبعه من قومه من أهل النِّفاق والرَّيْب، واتَّبعهم عبدُالله بن عمرو بن حرام، أخو بني سلمة، يقول: يا قوم، أذكِّركم الله ألا تخذُلوا قومكم ونبيَّكم عندما حَضر من عدوِّهم؛ فقالوا: لو نعلم أنَّكم تُقاتلون لما اسلمناكم، ولكنَّا لا نرى

أنه يكون قتالٌ. قال : فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم، قال : أبعدكم الله أعداء الله، فسيُغني الله عنكم نبيَّه.

« قال ابن هشام : وذكر غير زياد، عن محمد بن إسحاق عن الزّهري : أن الأنصار يوم أُحد، قالوا لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ألا نَسْتعين بحلفائنا من يهود؟ فقال : لا حاجة لنا فيهم ».

حادثة تفاءل بها الرسول

« قال زياد : حدثني محمد بن إسحاق، قال : ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حرّة بني حارثة، فذبّ[1] فرس بذنبه، فأصاب كلاَّبَ سيفٍ[2] فاستلَّه.

« قال ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ، وكان يحبّ الفأل ولا يَعتاف[3]، لصاحب السيف : شِم سيفك[4]، فإني أرى السُّيوف ستُسلّ اليوم ».

ما كان من مربع حين سلك المسلمون حائطه

« ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه : مَنْ رجل يخرج بنا على القوم من كثب : أي من قرب، من طريق لا يمرُّ بنا عليهم؟ فقال أبو خَيْثمة أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله، فنَفذ به في حَرّة بني حارثة، وبين أموالهم، حتى سلكَ في مال لمِرْبع بن قيظيّ، وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر، فلمّا سمع حسّ رسول الله ﷺ ومنْ معه من المسلمين،

---

(١) ذب بذنبه، أي حركه ليذب به الطير.

(٢) الكلاب : مسمار يكون في قائم السيف، وفيه الذؤابة لتعلقه بها.

(٣) ولا يعتاف : لا يتطير.

(٤) شم سيفك، أي أغمده

قام يَحثي في وجوههم التراب، ويقول : إن كنتَ رسول الله فاني لا أُحلّ لك أن تدخل حائطي. وقد ذُكر لي أنه أخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال : والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك. فابتدره القومُ ليقتلوه، فقال رسول الله ﷺ : لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب، أعمى البصر. وقد بدرَ إليه سعدُ بن زيد، أخو بني عبد الأشهل، قبلَ نَهي رسول الله ﷺ عنه، فضربه بالقوس في رأسه، فشجَّه ».

نزول الرسول بالشعب وتعبيته للقتال

« قال : ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشّعب من أُحد، في عُدْوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أُحد، وقال : لا يقاتلنّ أحدٌ منكم حتى نأمره بالقتال. وقد سَرَّحت قريش الظَّهر والكُراع[1] في زروع كانت بالصَّمغة[2]، من قناة للمُسلمين : فقال رجلٌ من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال : أتُرْعى زُروع بني قَيْلة[3] ولما نُضارب! وتعَبَّى رسول الله ﷺ للقتال، وهو في سَبْعِ مئة رجل، وأمَّر على الرُّماة عبدَالله بن جبير، أخا بني عَمْرو بن عوف وهو مُعْلَم يومئذ بثياب بيض، والرُّماة خمسون رجلاً، فقال: انضَحِ[4] الخيلَ عنَّا بالنَّبل، لا يأتونا من خَلْفنا، إن كانت لنا أو علينا، فاثبُت مكانك لا نُؤتَينَّ من قبلَك، وظاهرَ رسولُ الله ﷺ بين دِرْعين[5] ».

---

(١) الظهر : الإبل. والكراع : الخيل.

(٢) الصمغة : أرض قرب أحد.

(٣) بنو قيلة : هم الأوس والخزرج وقيلة : أم من أمهات الأنصار نسبوا إليها.

(٤) انضح الخيل، أي ادفعهم.

(٥) ظاهر بين درعين، أي لبس درعاً فوق درع.

مُصْعَب يحمل اللواء؟!

« ودفع اللواء إلى مُصْعب بن عمير... أخي بني عبد الدار... »

من أجازهم الرسول وهم في الخامسة عشرة

« قال ابن هشام : وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سَمُرة بن جُنْدب الفَزاريّ، ورافع بن خَديج، أخا بني حارثة، وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد ردّهما، فقيل له : يا رسول الله إن رافعاً رامٍ، فأجازه؛ فلما أجاز رافعاً، قيل له : يا رسول الله، فإن سمرة يَصْرع رافعاً، فأجازه. وردّ رسول الله ﷺ : أُسامة بن زيد، وعبدَالله بن عمر بن الخطَّاب، وزيد بن ثابت، أحد بني مالك بن النجّار، والبراء بن عازب، أحد بني حارثة، وعمرو بن حَزم، أحد بني مالك بن النجّار، وأُسيد بن ظُهَير، أحد بني حارثة، ثم أجازهم يوم الخندق، وهم أبناء خمس عشرة سنة.

« قال ابن إسحاق : وتَعبَّأت قُريشٌ، وهم ثلاثة آلاف رجل، ومعهم مئتا فرس قد جَنبوها[1]، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل ».

أمر أبي دجانة

« وقال رسول الله ﷺ : من يأخذ هذا السيف بحقّه؟ فقام إليه رجالٌ، فأمسكه عنهم؛ حتى قام إليه أبو دُجانة سماك بن خَرشة، أخو بني ساعدة، فقال : وما حقُّه يا رسول الله؟ قال : أن تضرب به العدوّ حتى ينحني؛ قال : أنا آخذُه يا رسول الله بحقّه، فأعْطاه إياه. وكان أبو دُجانة رجلاً شُجاعاً يختال عند الحرب، إذا كانت، وكان إذا أُعلِم بعصابة له حمراء،

(١) جنبوها : قادوها إلى جنوبهم يستعملونها إذا أعيا بعض خيلهم أو قتل.

فاعتصب بها علم الناس أنه سيُقاتل؛ فلمَّا أخذ السَّيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك، فعصب بها رأسه، وجعل يتبختر بين الصَّفين.

« قال ابن إسحاق : فحدثني جعفر بن عبدالله بن أسلم، مولى عمر ابن الخطَّاب، عن رجل من الأنصار من بني سَلَمة، قال : قال رسول الله ﷺ، حين رأى أبا دُجانة يتبختر : إنها لمشية يبغضها الله، إلا في مثل هذا الموطن ».

أسلوب أبي سفيان في تحريض قريش

« قال ابن إسحاق : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللِّواء من بني عبد الدَّار يُحرِّضهم بذلك على القتال : يا بني عبد الدّار، إنكم قد وليتم لواءَنا يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالُوا، فإما أن تَكفونا لواءَنا، وإمَّا أن تُخَلُّوا بيننا وبينه فنكفيكموه؛ فهمُّوا به وتواعدُوه، وقالوا : نحن نُسْلم إليك لواءَنا، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع! وذلك أراد أبو سفيان ».

تحريض هند والنسوة معها

« لما التقى الناس، ودنا بعضُهم من بعض، قامت هندُ بنت عُتبة في النِّسوة اللاتي معها، وأخذن الدُّفوف يضربن به خلف الرجال، ويحرّضنهم، فقالت هند فيما تقول :

وَيْهــا بَنــي عبــد الــدَّارْ   وَيْهــا حُمَــاةَ الأدبــار[1]
ضَرْبا بكلّ بَتار[2]

---

(١) ويها : كلمة معناها الإغراء. حماة الأدبار، أي الذين يحمون أعقاب الناس.

(٢) البتار : القاطع.

وتقول :

إن تُقْبلـــــوا نُعانِـــــقْ ... ونَفْـــــرش النَّمـــــارق[1]
أو تُدْبـــــروا نُفـــــارقْ ... فِـــــراقَ غيـــــرَ وامِـــــق[2]

شعار المسلمين

« قال ابن إسحاق : وكان شعار[3] أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحد : أمِتْ، أمتْ، فيما قال ابن هشام ».

تمام قصة أبي دجانة

« قال ابن إسحاق : فاقتتل الناسُ حتى حَمِيت الحربُ، وقاتل أبو دُجانة حتى أمعن في الناس.

« قال ابن هشام : حدثني غير واحد، من أهل العلم، أن الزُّبير بن العوّام قال : وَجدت في نفسي حين سألتُ رسول الله ﷺ السَّيف فمنعنيه وأعطاه أبا دُجانة، وقلت : أنا ابنُ صفيَّة عمَّته، ومن قُريش، وقد قمت إليه فسألته إياه قبله، فأعطاه إياه وتركني، والله لأنظرنّ ما يصنع؛ فاتبعته، فأخرج عصابة له حمراء، فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار : أخرج أبو دُجانة عصابة الموت، وهكذا كانت تقول له إذا تعصّب بها. فخرج وهو يقول :

أنـا الـذي عاهَدنـي خليلـي ... ونحنُ بالسَّفْـح لـدَى النَّخيـل
ألاَّ أقـومَ الدهـرَ فـي الكَيُّـول ... أضْرب بسيف الله والرَّسول[4]

---

(١) النمارق : جمع نمرقة، وهي الوسادة الصغيرة.

(٢) الوامق : المحب وهذا الرجز لهند بنت طارق بن بياضة الإيادية قالته في حرب الفرس لإياد وتمثلت به هند بنت عتبة.

(٣) الشعار (هنا) : علامة نادون بها في الحرب، ليعرف بعضهم بعضاً.

(٤) الكيول : آخر الصفوف في الحرب.

« قال ابن هشام : ويروى في الكُبُول[1].

« قال ابن إسحاق : فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله. وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحاً إلا ذفّف عليه، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه. فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا، فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة، فاتّقاه بدَرَقته، فعَضت بسيفه، وضربه أبو دُجانة فقَتله ثم رأيتُه قد حمل السيفَ على مفرق رأس هند بنت عُتبة، ثم عدل السيفَ عنها. قال الزبير فقلتُ : الله ورسوله أعلم.

« قال ابن إسحاق : وقال أبو دُجانة سِماك بن خَرَشة : رأيت إنساناً يَخْمش الناس خمشاً شديداً، فصمدتُ له، فلما حملتُ عليه السَّيف وَلْول فاذا امرأةٌ، فأكرمت سيفَ رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة ».

مقتل حمزة

« وقاتل حمزة بن عبد المطَّلب حتى قتل أرطاة بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدَّار، وكان أحد النَّفر الذين يحملون اللّواء ثم مرّ به سباعُ بن عبد العُزّى الغُبْشاني، وكان يُكنى بأبي نِيار، فقال له حمزة: هلمّ إليّ يابن مُقَطِّعة البُظور ــ وكانت أُمُّه أمّ أنمار مَولاة شَريق بن عمرو بن وهب الثَّقفي.

ــ وكانت خَتَّانَةَ بمكة ــ فلمَّا الْتقيا ضَربه حمزةُ فقتله.

« قال وحشيّ، غلامُ جُبير بن مُطعم : والله إني لأنظر إلى حَمْزة يَهُدُّ[2] الناس بسيفه ما يُليق[3] به شيئاً، مثل الجمل الأورق[4] إذ تقدّمني

---

(١) الكبول : القيود، الواحد : كبل (بالفتح، ويكسر).

(٢) يهد، قال أبو ذر : « من رواه بالذال المعجمة، فمعناه. يسرع في قطع لحوم الناس بسيفه. ومن رواه بالدال المهملة، فمعناه يرديهم ويهلكهم ».

(٣) ما يليق : ما يبقى.

(٤) الأورق : الذي لونه الى الغبرة.

إليه سباع بن عبد العزّى، فقال له حمزة: هلمّ إليّ يابن مُقطَّعة البُظور، فضربه ضربة، فكأنّ ما أخْطأ رأسه[1]، وهززتُ حربتي حتى إذا رضيتُ منها دفعتها عليه، فوقعت في ثُنَّته[2] حتى خرجت من بين رجليه، فأقبل نحوي، فغلب فوقع، وأمهلتُه حتى إذا مات جئتُ فأخذت حربتي، ثم تنحَّيت إلى العسكر، ولم تكن لي بشيء حاجةٌ غيره ».

وحشي يحدث الضمري وابن الخيار عن قتله حمزة

« قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن الفضل بن عبَّاس بن ربيعة ابن الحارث عن سُليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أُمية الضَّمري قال : خرجتُ أنا وعُبيد الله بن عديّ بن الخيار، أخو بني نوفل بن عبد مناف، في زمان مُعاوية بن أبي سُفيان، فأدْرَبْنا مع الناس[3]، فلما قَفَلنا مَرَرْنا بحِمْص ـــ وكان وَحْشي، مولى جُبير بن مُطعم، قد سَكَنها، وأقام بها ـــ فلمَّا قدمناها، قال لي عُبَيْد الله بن عَدِيّ : هل لك في أن نأتي وحشيًّا فنسأله عن قَتل حمزة كيف قتله؟ قال : قلت له : إن شئتَ. فخرجنا نسأل عنه بحمص، فقال لنا رجل، ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناء داره، وهو رجلٌ قد غلبت عليه الخمر، فان تَجداه صاحياً تَجِدَا رجلاً عربياً، وتجدا عنده بعض ما تريدان، وتُصيبا عنده ما شِئتما من حديث تسألانه عنه، وإن تَجِداه وبه بعض ما يكون به، فانصرفا عنه ودعاه، قال : فخرجنا نمشي حتى جئناه، فاذا هو بفناء داره على طنفسة له[4]، فاذا شيخٌ كبير مثل البُغاث.

« ـــ قال ابن هشام : البغاث : ضرب من الطير إلى السواد[5] ـــ

---

(١) كأن ما أخطأ رأسه، أي كان الأمر والشأن ما أخطأ رأسه.

(٢) الثنة : ما بين أسفل البطن إلى العانة.

(٣) فأدربنا مع الناس، أي جزنا الدروب.

(٤) الطنفسة : واحدة الطنافس من البسط والثياب والحصير.

(٥) ضرب من الطير.

فاذا هو صاحٍ لا بأس به. قال: فلما انتهينا إليه سَلَّمنا عليه، فرفع رأسه إلى عُبيد الله بن عديّ، فقال: ابنٌ لعديّ بن الخيار أنت؟ قال: نعم؛ قال: أما والله ما رأيتُك منذ ناولتُك أُمَّك السعديَّة التي أرضعتك بذي طُوى[1]، فاني ناولتُكها وهي على بعيرها، فأخذَتك بعُرضَيْك[2]، فلمعتْ لي قدماك حين رفعتُك إليها، فوالله ما هو إلا أن وقفتَ عليّ فعرفتُهما. قال: فجلسنا إليه، فقُلنا له: جئناك لتحدّثنا عن قَتْلك حمزة، كيف قتلته؟ فقال: أما إني سأحدّثكما كما حدّثت رسول الله ﷺ حين سألني عن ذلك، كنت غلاماً لجُبير بن مُطعم، وكان عمُّه طُعَيْمة بن عديّ قد أُصيب يوم بدر؛ فلمَّا سارت قريشٌ إلى أحد، قال لي جُبير: إن قتلتَ حمزة عمّ محمد بعمِّي فأنت عَتيق قال: فخرجت مع الناس، وكنتُ رجلاً حَبشيًّا أقذف بالحَربة قَذْفَ الحبشة، قلَّما أخطئ بها شيئاً؛ فلما التقى الناس خرجتُ أنظر حمزة وأتبصَّره، حتى رأيته في عُرض الناس مثل الجمل الأورق[3]، يهدّ الناس بسيفه هدًّا، ما يقوم له شيء، فوالله إني لأتهيَّأ له، أُريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليَدنو مني إذ تقدمني إليه سباعُ بن عبد العُزّى، فلمَّا رآه حمزة قال له: هلمّ اليّ يابن مُقَطَّعة البُظور. قال: فضربه ضربة كأنّ ما أخطأ رأسه. قال: وهززت حَرْبتي، حتى إذا رضيت منها، دفعتها عليه، فوقعت في ثُنَّته، حتى خرجت من بين رجليه، وذهب لينوء[4] نحوي، فغلب، وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتي، ثم رجعت إلى العسكر، فقعدت فيه، ولم يكن لي بغيره حاجة، وإنما قتلتهُ لأُعتق. فلما قدمت مكة أُعتِقت، ثم أقمتُ حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكةَ هربتُ إلى الطَّائف، فمكثت بها، فلما خرج وفدُ الطَّائف إلى رسول الله ﷺ ليُسْلِموا تَعيَّت عليّ المذاهب،

---

(١) ذو طوى: موضع بمكة.

(٢) «بعرضيك» بجانبيك.

(٣) الجمل الأورق: الذي لونه بين الغبرة والسواد، سماه كذلك لما عليه من الغبار.

(٤) ينوء: ينهض متثاقلاً.

فقلت : الحق بالشام، أو اليمن، أو ببعض البلاد؛ فوالله إني لفي ذلك من همّي، إذ قال لي رجل : ويحك! إنه والله ما يقتُل أحد من الناس دخل في دينه، وتشهَّد شهادته.

وحشي بين يدي الرسول يسلم

« فلما قال لي ذلك، خرجتُ حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة، فلم يَرُعه إلا بي قائماً على رأسه أتشهَّد بشهادة الحقّ؛ فلما رآني قال : أوحشيّ؟ قلت : نعم يا رسول الله. قال : اقعُد فحدثني كيف قتلت حمزة، قال : فحدّثته كما حدثتكما، فلما فرغتُ من حديثي قال : ويحك! غيِّب عني وجهك، فلا أُرَيَنَّك. قال : فكنتُ أتنكَّب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراني، حتى قبضه الله ﷺ ».

قتل وحشي لمسلمة

« فلما خرج المسلمون إلى مُسَيلمة الكذّاب صاحب اليمامة خرجت معهم، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة؛ فلما التقى الناس رأيت مُسيلمة الكذاب قائماً في يده السيف، وما أعرفه، فتهيأت له، وتهيَّأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى، كلانا يُريده، فهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت فيه، وشدّ عليه الأنصاريّ فضربه بالسيف، فربُّك أعلم أيُّنا قتله، فإن كنت قتلته، فقد قتلت خير الناس... بعد رسول الله... ﷺ، وقد قتلت شر الناس.

« قال ابن إسحاق : وحدثني عبدالله بن الفضل، عن سليمان بن يسار، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وكان قد شهد اليمامة، قال : سمعت يومئذٍ صارخاً يقول : قتله العبدُ الأسود... »

أقول... هذه مقدمات غزوة أُحُد... حيث دفع رسول الله... ﷺ... اللواء الى مُصْعب بن عمير...

وحيث خرجت أُمُّه... خُناس بنت مالك... مع ابنها أبي عزيز بن

عمير... ضمن نساء من قريش... يدفعهن الغيظ والثأر... يحرضن المشركين أن يشتدوا في قتال المسلمين... ليثأروا لقريش وما أصابها يوم بدر...

وكان عجيباً حقاً... أن يكون الابن هو حامل لواء المسلمين...

وأن تكون الأمُّ... في الخطّ المضاد... تحرّض المشركين!!!

ولكن العجب يزول... إذا علمنا أن الإيمان فصل بينهما... وأقام ميزاناً جديداً للناس!!!

والآن ندخل الى المشهد المثير... من غزوة أُحُد...

فماذا حدث... وماذا كان؟!!

قاتل مُصْعَب...
يصيح...
قَتَلْتُ محمداً...؟!

مقتل مُصعَب بن عُمَيْر؟!

« قال ابن إسحاق : **وقاتل مُصعبُ بن عُمَير دون رسول الله ﷺ حتى قُتل، وكان الذي قتله ابن قمئة اللَّيثي، وهو يَظُن أنه رسول الله ﷺ، فرجع إلى قريش فقال : قتلتُ محمداً. فلما قُتل مُصْعب بن عُمير أعطى رسول الله ﷺ اللِّواءَ عليّ بن أبي طالب، وقاتل عليّ بن أبي طالب ورجال من المسلمين.**

« قال ابن هشام : وحدثني مَسلمة بن علقمة المازني، قال : لما اشتد القتال يوم أُحد، جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار؛ وأرسل رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه : أن قدّم الراية. فتقدّم عليّ، فقال : أنا أبو الفُصَم[1]، ويقال : أبو القُصم، فيما قال ابن هشام ــ فناداه أبو سَعْد بن أبي طلحة، وهو صاحب لواء المشركين : أن هل لك يا أبا القُصَم في البراز من حاجةٍ؟ قال : نعم. فبرزَ بين الصَّفَّين، فاختلفا ضَربتين فضربه علي فصرعه، ثم انصرف عنه ولم يُجهز عليه؛ فقال له أصحابه : أفلا أجهزت عليه؟ فقال : إنه استَقبلني بعورته، فَعطَفَتْنيَ عنه الرّحم[2]، وعرفتُ أن الله عزّ وجلّ قد قتله.

---

(١) اختار السهيلي أن تضبط على الروايتين بضم ففتح على أنها جمع قصمى أو فصمي. والقصم : كسر ببينونة. والفصم: كسر بغير بينونة، ككسر القضيب الرطب ونحوه.

(٢) وقد فعل علي رضي الله عنه هذه مرة أخرى يوم صفين، حمل على بسر بن أرطاة، فلما رأى بسر أنه مقتول كشف عن عورته، فانصرف عنه؛ ويروى أيضاً مثل ذلك عن عمرو بن العاص مع علي رضي الله عنه يوم صفين.

« ويقال : إنّ أبا سعد بن أبي طلحة خرج بين الصفَّين، فنادى : أنا قاصمٌ من يُبارز برازاً، فلم يخرج إليه أحدٌ. فقال : يا أصحاب محمد، زعمتم أن قتلاكم في الجنَّة، وأن قتلانا في النار، كذبْتم واللات، لو تعلمون ذلك حقًّا لخرج إليّ بعضُكم، فخرج إليه عليّ بن أبي طالب، فاختلفا ضَرْبتين، فضربه عليّ فقتَله.

قال ابن إسحاق : قتل أبا سَعْد بن أبي طلحة سعدُ بن أبي وقَّاص[١] ».

شأن عاصم بن ثابت

« وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، فقَتل مُسافع بنَ طلحة وأخاه الجُلاس بن طلحة، كلاهما يَشعره[٢] سَهْماً، فيأتي أُمَّه سُلافة، فيضع رأسه في حجرها فتقول : يا بُنيّ، من أصابك؟ فيقول : سمعتُ رجلاً حين رماني وهو يقول : خُذْها وأنا ابن أبي الأقلح. فنذرتْ إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر، وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمسّ مُشركاً أبداً، ولا يمسه مشرك.

« وقال عثمان بن أبي طلحة يومئذ، وهو يحمل لواء المشركين :

إنّ على أهلِ اللِّواء حقَّا ... أن يَخْضِبوا الصَّعْدة أو تَنْدَقَّا[٣]

فقتله حمزةُ بن عبد المطلب ».

---

(١) قال السهيلي : رواه الكشي في تفسيره عن سعد، قال : « لما كف عنه علي طعنته في حنجرته، فدلع لسانه إلى كما يصنع الكلب، ثم مات ».

(٢) يشعره سهماً، أي يصيبه به في جسده، فيصير له مثل الشعار. والشعار : ما ولي الجسد من الثياب.

(٣) الصعدة : القناة.

حنظلة غسيل الملائكة

« والتقى حنظلة بن أبي عامر الغَسيل وأبو سفيان، فلما استعلاه حنظلةُ ابن أبي عامر رآه شدّاد بن الأسود، وهو ابن شعوب، قد علا أبا سفيان. فضربه شدّاد فقتله. فقال رسول الله ﷺ: إن صاحبكم، يعني حنظلة لتُغَسِّله الملائكة، فسألوا أهلَه ما شأنُه؟ فسئلت صاحبته عنه. فقالت: خرج وهو جُنُب حين سمع الهاتفة[1].

« ــ قال ابن هشام: ويقال: الهائعة. وجاء في الحديث: خيرُ النَّاس رجلٌ مُمْسك بعنان فَرسه، كلما سمع هَيْعة طار إليها.

(والهيعة: الصَّيحة التي فيها الفزع).

« قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: لذلك غسلته الملائكة ».

حديث الزبير عن سبب الهزيمة

« قال ابن إسحاق: ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدّقهم وعده، فحسُّوهم بالسيوف[2] حتى كشفوهم عن العسكر، وكانت الهزيمة لا شكّ فيها.

« قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبَّاد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه عبَّاد، عن عبدالله بن الزبير، عن الزبير، أنه قال: والله لقد رأيتني أنظرُ إلى خدم هند بنت عُتبة وصواحبها مشمِّرات هوارب، ما دون أخذهن قليلٌ ولا كثيرٌ إذا مالتِ الرُّماة إلى العسكر، حين كشفنا القوم عنه وخلَّوا ظهورنا للخيل، فأتينا من خلفنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قُتل؛

(١) الهاتفة: الصيحة

(٢) حسوهم بالسيوف: قتلوهم واستأصلوهم.

فانكفأنا[1] وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللّواء حتى ما يدنو منه أحدٌ من القوم.

ما لقيه الرسول يوم أُحد

« قال ابن إسحاق : وانكشف المسلمون، فأصابَ فيهم العدوّ، وكان يومَ بلاء وتمحيص، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة، حتى خلص العدوّ إلى رسول الله ﷺ. فدُثّ[2] بالحجارة حتى وقع لشقّه[3]، فأُصيبت رباعيته، وشُجّ[4] في وجهه، وكُلمت[5] شفته، وكان الذي أصابه عُتْبة بن أبي وقّاص.

« قال ابن إسحاق : فحدّثني حُميد الطَّويل، عن أنس بن مالك، قال :

كُسرت رباعية النبيّ ﷺ يوم أُحد، وشُجّ في وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول : كيف يُفلح قوم خضبوا وجه نبيِّهم، وهو يدعوهم إلى ربهم! فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾. [آل عمران : ١٢٨]

قال ابن هشام: وذكر رُبَيح بن عبد الرحمن بن أبي سَعيد الخُدْريّ عن أبيه، عن أبي سعيد الخُدْريّ: عن عُتبة بن أبي وقّاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ، فكسر رباعيته اليُمنى السُّفلى، وجرح شفته السُّفلى، وأن

(١) انكفأنا : رجعنا.

(٢) فدث، قال أبو ذر : « من رواه بالراء فمعناه أصيب بها. ومن رواه (فدث) بالدال المهملة، فمعناه رمى حتى التوى بعض جسده ».

(٣) الشق : الجانب.

(٤) شج : أصابته شجة.

(٥) كلم : جُرح (بالبناء للمجهول فيهما).

عبدالله بن شهاب الزهري شجَّه في جبهته، وأن ابن قمئة جرح وجنته[1] فدخلت حلقتان من حلق المغفر[2] في وجنته، ووقع رسول الله ﷺ في حُفرة من الحُفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون، وهم لا يعلمون؛ فأخذ عليّ بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ، ورفعه طَلحة بن عُبيدالله حتى استوى قائماً، ومصَّ مالك بن سنان، أبو أبي سعيد الخُدري، الدمّ : عن وجه رسول الله ﷺ، ثم ازدرده[3]؛ فقال رسول الله ﷺ من مسّ دمي دمَه لم تُصبه النار.

« قال ابن هشام : وذكر عبدُ العزيز بن محمد الدَّراوردي : أنّ النَّبي ﷺ قال : من أحبَّ أن ينظُر إلى شَهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عُبيدالله.

« وذكر، يعني عبد العزيز الدراوردي، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن عيسى بن طَلحة، عن عائشة، عن أبي بكر الصدّيق : أن أبا عُبيدة ابن الجرّاح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ، فسقطت ثَنيَّته، ثم نزع الأخرى، فسقَطت ثنيَّته الأخرى، فكان ساقط الثنيَّتين ».

ابن السكن وبلاؤه يوم أحد

« قال ابن إسحاق : وقال رسول الله ﷺ، حين غَشيه القوم : مَن رجلٌ يَشْري لنا نفسه؟ كما حدثني الحُصين بن عبد الرحمن بن عمرو ابن سعد بن معاذ، عن محمود بن عمرو، قال: فقال زياد بن السَّكَن في نفر خمسة من الأنصار ـــ وبعضُ الناس يقول : إنما هو عُمارة بن يزيد بن السَّكَن ـــ فقاتَلوا دون رسول الله ﷺ، رجلاً ثم رجلاً، يُقْتَلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عُمارة، فقاتل حتى أثبَتته الجراحة، ثم

---

(١) الوجنة : أعلى الخد.

(٢) المغفر : شبيه بحلق الدرع يجعل على الرأس يتقي به في الحرب.

(٣) ازدرده : ابتلعه.

فاءت فئةٌ(١) من المسلمين، فأجْهَضَوهم(٢) عنه، فقال رسولُ الله ﷺ : أدْنُوه مني، فأدنَوْه منه، فوسَّده قدَمه، فمات وخدُّه على قدم رسول الله ﷺ ».

حديث أم سعد عن نصيبها في الجهاد يوم أحد

« قال ابن هشام : وقاتلت أمّ عُمارة، نُسيبة بنت كعب المازنيَّة يوم أُحد.

فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاريّ : أن أم سعد بنت سَعد بن الرَّبيع كانت تقول : دخلتُ على أمّ عُمارة، فقلت لها : يا خالة، أخبريني خَبرك؛ فقالت : خرجتُ أوّل النهار وأنا أنظرُ ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت الى رسول الله ﷺ، وهو في أصحابه، والدولة والريح(٣) للمُسلمين، فلما انهزم المُسلمون، انحزتُ إلى رسول الله ﷺ، فقُمْتُ أُباشر القِتال، وأذبّ عنه بالسَّيف، وأرمي عن القوس، حتى خَلَصت الجراحُ إليّ، قالت : فرأيتُ على عاتقها جُرحاً أجْوَفَ له غَوْر، فقلت : من أصابك بهذا؟ قالت : ابن قمئة، أقمأه(٤) الله! لمَّا ولي الناسُ عن رسول الله ﷺ أقبل يقول : **دلّوني على محمد، فلا نجوتُ إن نجا، فاعترضتُ له أنا ومصعب بن عُمير**، وأناس ممن ثَبَت مع رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضربة ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات، ولكنّ عدوّ الله كان عليه دِرعان ».

أبو دجانة وأبن أبي وقاص يدفعان عن الرسول

« قال ابن إسحاق : وتَرّس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه، يقع النَّبلُ في ظهره، وهو منحنٍ عليه، حتى كثُر فيه النَّبلُ. ورمى سعدُ

---

(١) الفئة : الجماعة.

(٢) أجهضوهم : أزالوهم وغلبوهم.

(٣) يريد « بالريح » النصر

(٤) أقمأه الله : أذله.

ابن أبي وقَّاص دون رسول الله ﷺ. قال سعد: فلقد رأيتُه يُناولني النَّبل وهو يقول : ارمِ، فِداك أبي وأمي، حتى إنه ليناولني السَّهم ما له نَصْل، فيقول : ارمِ به.

بلاء قتادة وحديث عينه

« قال ابن إسحاق : وحدثني عاصمُ بن عمر بن قتادة : أنَّ رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقَّت سِيَتُها[1]، فأخَذها قتادة بن النعمان، فكانت عنده، وأُصيبت يومئذ عين قَتادة بن النُّعمان، حتى وقعت على وجنته.

« قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن رسول الله ﷺ ردَّها بيده، فكانت أحسنَ عَيْنيه وأحدَّهما ».

شأن أنس بن النضر

« قال ابن إسحاق : وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عديّ بن النجَّار، قال : انتهى أنسُ بن النَّضر، عمّ أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطَّاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المُهاجرين والأنصار، وقد ألقَوْا بأيديهم، فقال : ما يُجلسكم؟ قالوا : قُتل رسول الله ﷺ؛ قال : فماذا تُصْنعون بالحياة بعده؟ (قوموا) فمُوتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القومَ، فقاتل حتى قُتل؛ وبه سمّى أنس ابن مالك.

« قال ابن إسحاق : فحدثني حُميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال : لقد وجدنا بأنس بن النّضر يومئذ سَبعين ضربة، فما عَرفه إلا أختُه، عرفته ببنَانه ».

(١) السية : طرف القوس.

ما أصاب ابن عوف من الجراحات

« قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم : أن عبد الرحمن بن عوف أُصيب فُوه يومئذ فهُتم[1]، وجُرح عشرين جراحة أو أكثر، أصابه بعضُها في رجله فعرج ».

أول من عرف الرسول بعد الهزيمة

« قال ابن إسحاق : وكان أوّل من عَرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة، وقول الناس : قُتل رسول الله ﷺ، كما ذكر لي ابنُ شهاب الزهريّ كعبُ بن مالك، قال : عرفت عينيه تزْهران[2] من تحت المِغْفر، فناديتُ بأعلى صَوتي : يا معشَر المسلمين، أبشروا، هذا رسولُ الله ﷺ فأشار إليّ رسولُ الله ﷺ : أن أنْصِت.

« قال ابن إسحاق : فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به، ونهض معهم نَحو الشِّعب، معه أبو بكر الصدّيق، وعُمر بن الخطّاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزُّبير بن العوّام، رضوان الله عليهم، والحارث بن الصّمة، ورهْط من المسلمين ».

مقتل أبي بن خلف

« قال: فلما أُسند رسول الله ﷺ في الشِّعب أدركه أُبَيّ بن خلف وهو يقول : أي[3] محمد، لا نجوتُ إن نجوتَ، فقال القوم : يا رسول الله، أيعطف عليه رجلٌ منّا؟ فقال رسول الله ﷺ : دَعوه، فلمّا دنا، تناول رسول الله ﷺ الحَرْبة من الحارث بن الصّمة؛ يقول بعض القوم، فيما ذكر لي : فلما أخذها رسول الله ﷺ منه انتفض بها انتفاضة، تطايَرنا

---

(١) هتم : كسرت ثنيته.

(٢) تزهران : تضيئان.

(٣) وفي سائر الأصول : « أين ».

عنه تطاير الشَّعراء عن ظهر البعير اذا انتفض بها ـــ قال ابن هشام : الشعراء : ذباب له لدغ ـــ ثم استقبله فطَعنه في عنقه طَعنة تَدأدأ منها عن فرسه مراراً.

« قال ابن هشام : تدأدأ، يقول : تقلَّب عن فرسه فجعل يتدحرج.

« قال ابن إسحاق : وكان أُبَيّ بن خلف، كما حدّثني صالحُ بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف، يَلْقى رسول الله ﷺ بمكة، فيقول: يا محمد إن عندي العَوْذ، فرسا أعلفه كلّ يوم فَرَقا[1] من ذرة، أقتلك عليه؛ فيقول رسول الله ﷺ : بل أنا أقتُلك إن شاء الله. فلما رجعَ إلىٰ قُريش وقد خَدَشه في عُنقه خَدْشاً غيرَ كبير، فاحتقنَ الدم، قال : قَتَلني والله محمد! قالوا له : ذهب والله فؤادك! والله إنْ بك من بأس؛ قال : إنه قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك، فوالله لو بَصَق عليّ لقتلني. فمات عدوّ الله بسَرِف[2] وهم قافلون به إلى مكة ».

انتهاء الرسول إلى الشعب.

قال: فلما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى فَم الشّعب خرج علي بن أبي طالب، حتى ملأ دَرَقته ماءً من المِهراس[3]، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه، فوَجد له ريحاً، فعافه[4]، فلم يشرب منه، وغسل عن وجهه الدم، وصبّ على رأسه وهو يقول : اشتدّ غضبُ الله على من دمَّى وجه نبيه.

---

(١) الفرق (بفتح الراء وإسكانها) : مكيال يسع ستة عشر منا، وقيل : اثني عشر رطلاً.
(٢) سرف : موضع على ستة أميال من مكة وقيل، سبعة وتسعة وأثني عشر.
(٣) المهراس : حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر، ويصب فيه الماء لينتفع به الناس.
(٤) عافه : كرهه.

حرص ابن أبي وقاص على قتل عتبة

« قال ابن إسحاق : فحدثني صالح بن كَيسان عمَّن حدّثه عن سَعد ابن أبي وقّاص أنه كان يقول: والله ما حرصت على قتل رجل قطّ كحِرصي على قتل عُتبة بن أبي وقّاص، وإن كان ما علمتُ لسِّيِّءَ الخلق مبغَضاً في قومه، ولقد كفاني منه قولُ رسول الله ﷺ : اشتد غضبُ الله على من دمَّى وجه رسوله ».

صعود قريش الجبل وقتال عمر لهم

« قال ابن إسحاق : فبينا رسول الله ﷺ بالشعب، معه أولئك النَّفر من أصحابه، إذ عَلَت عاليةٌ من قريش الجبلَ.

« قال ابن هشام : كان على تلك الخَيل خالد بن الوليد.

« قال ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ : اللّهمّ إنه لا ينبغي لهم أن يَعْلونا! فقاتل عمرُ بن الخطّاب ورهْطٌ معه من المهاجرين حتى أهبْطوهم من الجبل ».

ضعف الرسول عن النهوض ومعاونة طلحة له

« قال ابن إسحاق : ونهض رسول الله ﷺ إلى صَخْرة من الجبل ليعلوها، وقد كان بدَّن[1] رسول الله ﷺ، وظاهرَ بين درعين، فلما ذهبَ لينهض ﷺ لم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله، فنهض به، حتى استوى عليها. فقال رسول الله ﷺ، كما حدثني يحيى بن عبَّاد ابن عبدالله بن الزبير، عن أبيه، عن عبدالله بن الزبير، عن الزبير، قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يومئذ يقول : أوجَب[2] طلحة حين صنع برسولِ الله ﷺ ما صنع ».

---

(١) بدن : أسن وضعف.

(٢) أوجب : وجبت له الجنة.

صلاة الرسول قاعداً

« قال ابن هشام : وذكر عمر مولى غُفْرة : أن النبيّ ﷺ صلى الظهر يوم أُحد قاعداً من الجراح التي أصابته، وصلى المسلمون خلفَه قعوداً ».

مقتل اليمان وابن وقش

« قال ابن إسحاق : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضُهم إلى المُنقَّى، دون الأعْوص[1].

« قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود ابن لَبيد، قال : لما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحد، رفع حُسَيل بن جابر، وهو اليمان[2] أبو حُذيفة[3] بن اليمان، وثابت بن وَقْش في الآطام مع النساء والصّبيان، فقال أحدهما لصاحبه، وهما شَيْخان كَبيران : ما أبا لك، ما تنتظر؟ فوالله لا بقي لواحد منّا من عمره إلا ظِمء[4] حِمار، إنما نحن هامةٌ[5] اليوم أو غد، أفلا نأخذ أسيافنا، ثم نَلْحق برسولِ الله ﷺ، لعلّ الله يرزقنا شهادةً مع رسول الله ﷺ؟ فأخذا أسيافهما ثم خرجا، حتى ذخلا في الناس، ولم يُعلم بهما، فأمّا ثابت بن وقش فقَتله المُشركون، وأما حُسَيْل بن جابر، فاختلفت عليه أسياف المُلسمين، فقَتلوه

---

(١) الأعوص : موضع قرب المدينة.

(٢) قال السهيلي : وسمي حسيل بن جابر : اليماني، لأنه من ولد جروة بن مازن بن قطيعة ابن عبس، وكان جروة قد بعد عن أهله في اليمن زمناً طويلاً ثم رجع إليهم فسموه اليماني ».

(٣) ويكنى حذيفة : أبا عبدالله، وهو حليف لبني عبد الأشهل. وأمه الرباب بنت كعب.

(٤) الظمء : مقدار ما يكون بين الشربتين. وأقصر الأظماء ظمء الحمار، لأنه لا يصبر عن الماء، فضرب مثلاً لقرب الأجل.

(٥) الهامة : طائر يخرج من رأس القتيل إذا قتل (زعموا) فلا يزال يصيح : اسقوني اسقوني! حتى يؤخذ بثأره فضربته العرب مثلاً للموت.

ولا يَعرفونه[1]، فقال حُذيفة : أبي؛ فقالوا : والله إنْ عرفناه، وصدَقوا. قال حُذيفة : يَغْفِر الله لكم وهو أرْحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يَديَه؛ فتصدّق حُذيفة بديته على المُسلمين؛ فزَاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً ».

مقتل حاطب ومقالة أبيه

« قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن رجلاً منهم كان يدعى حاطب بن أُميَّة بن رافع، وكان له ابنٌ يقال له يزيد بن حاطب، أصابته جراحةٌ يوم أُحد، فأُتي به إلى دار قومه وهو بالموت، فاجتمع إليه أهلُ الدار، فجعلَ المُسلمون يقولون له من الرجال والنساء : أبشر يا بن حاطب بالجنَّة؛ قال : وكان حاطب شيخاً قد عسا في الجاهليَّة، فنجمَ يومئذ نفاقُه، فقال : بأيّ شيء تبشِّرونه؟ بجنَّة من حَرْمل[2]! غررتم والله هذا الغلام من نفسه ».

مقتل قزمان منافقاً كما حدث الرسول بذلك

« قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال : كان فينا رجلٌ أتي لا يُدرى ممَّن هو، يقال له : قُزمان، وكان رسول الله ﷺ يقول، إذا ذُكر له : إنه لمن أهل النار، قال : فلما كان يوم أُحد قاتلَ قتالاً شديداً، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين، وكان ذا بأس، فأثبتته الجراحة، فاحتُمل إلى دار بني ظفَر، قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليتَ اليوم يا قُزمان، فأبشِر، قال :

(١) قيل إن الذي قتله خطأ هو عتبة من مسعود، أخو عبدالله بن مسعود، وجد عبدالله بن عبدالله ابن عتبة بن مسعود الفقيه. وعتبة هذا هو أول من سمى المصحف مصحفاً.

(٢) قال السهيلي : « من حرمل، يريد الأرض التي دفن فيها، وكانت تنبت الحرمل، أي ليس له جنة إلا ذاك ».

بماذا أبشر؟ فوالله إن قاتلتُ إلا عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلتُ.
قال : فلما اشتدّت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته، فقَتل به نفسه ».

قتل مخيريق

« قال ابن إسحاق : وكان ممن قُتل يوم أُحد مُخَيريق، وكان أحدَ بني ثَعْلبة بن الفِطْيون، قال : لما كان يوم أحد، قال : يا معشر يهود، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحقّ، قالوا : إن اليوم يوم السبت، قال : لا سبت لكم.

فأخذ سيفه وعُدَّته، وقال : إن أُصبتُ فما لي لمحمَّد يَصنع فيه ما شاء، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ، فقاتل معه حتى قُتل؛ فقال رسول الله ﷺ ــ فيما بلغنا ــ مُخَيريق خير يهود ».

أمر أصيرم

« قال ابن إسحاق : وحدثني الحُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سَعْد بن معاذ عن أبي سفيان، مولى ابن أبي أحمد، عن أبي هُرَيرة قال : كان يقول : حدثوني عن رجل دخَل الجنَّة لم يُصلِّ قطُّ، فاذا لم يعرفه الناسُ سألوه : من هو؟ فيقول : أُصَيْرِم، بني عبد الأشهل، عمرو بن ثابت ابن وَقْش. قال الحُصين: فقلت لمحمود بن أسد: كيف كان شأن الأُصَيرم؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه، فلمَّا كان يوم خرج رسول الله ﷺ إلى أُحد، بدا له في الإسلام فأسلم، ثم أخذ سيفه، فعدا حتى دخل في عُرض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحة. قال : فبينا رجالٌ من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا : والله إن هذا للأُصيرم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمُنْكر لهذا الحديث، فسألوه ما جاء به؛ فقالوا : ما جاء بك يا عمرو؟ أحَدَبٌ على قومك أم رغبة في الإسلام؟ قال : بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت، ثم أخذت سيفي، فغدوتُ مع رسول الله ﷺ، ثم قاتلت حتى أصابني ما

أصابني، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم. فذكروه لرسول الله ﷺ، فقال: إنه لمن أهل الجنة ».

مقتل عمرو بن الجموح

« قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار، عن أشياخ من بني سَلمة: أن عمرو بن الجموح كان رجلاً أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأُسد، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أُحد أرادوا حبسه، وقالوا له: إنّ الله عزّ وجلّ قد عَذرك، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه، والخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنَّة؛ فقال رسول الله ﷺ: أما أنت فقد عَذَرك الله فلا جهاد عليك، وقال لبنيه: ما عليكم أن لا تمنعوه، لعلّ الله أن يرزقَه الشهادة فخرج معه فقُتل يوم أُحد[1] ».

هند وتمثيلها بحمزة

« قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عُتبة، كما حدثني صالح بن كَيسان، والنسوة اللاتي معها، يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يجدّعن[2] الآذان والآنف، حتى اتخذت هند من آذان الرّجال وآنفهم خَدَماً[3] وقلائد، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشيًّا، غلام جُبير بن

(١) قال السهيلي: « وزاد غير ابن إسحاق: أنه لما خرج قال: اللهم لا تردني، فاستشهد، فجعله بنوه على بعير ليحملوه الى المدينة، فاستصعب عليهم البعير، فكان إذا وجهوه إلى كل جهة سارع إلا جهة المدينة، فكان يأبى الرجوع إليها، فلما لم يقدروا عليه، ذكروا قوله: اللهم لا تردني إليها، فدفنوه في مصرعه ».

(٢) يجدعن: يقطعن.

(٣) الخدم: جمع خدمة، وهي الخلخال.

مطعم، وبَقَرت[1] عن كَبد حمزة، فلاكتها[2]، فلم تستطع أن تُسيغها[3]، فَلَفَظتها[4]، ثم علت على صخرة مشرفة، فصرخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جَزَيْناكم بيوم بَدْر والحرْب بعد الحرب ذات سُعْرِ[5]
ما كان عن عُتْبة لي من صَبر ولا أخي وعمّه وبَكْري
شَفَيتُ نفسي وَقَضيتُ نَذْري شَفيتَ وَحْشِيّ غَليل صَدْري[6]
فشُكْر وَحْشيّ عليّ عُمْري حتى تَرِمَّ أعظُمي في قَبْري[7]

شعر هند بنت أثاثة في الرد على هند بنت عتبة

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبَّاد بن المُطلب، فقالت :

خَزِيتِ في بدر وبعد بَدْر يا بنتَ وقَّاعٍ عظيم الكُفْرِ[8]
صَبَّحك الله غداةَ الفَجْر ملْهاشميِّين الطِّوال الزُّهر[9]
بكلّ قطَّاعٍ حُسامٍ يَفْري حَمْزةُ لَيْثي وعليّ صَقْري[10]
إذ رام شَيْبٌ وأبوك غَدْري فخَضَّبا منه ضواحي النَّحْر[11]
ونَذْرك السُّوء فَشرّ نَذْرِ

(١) بقرت : شقت.
(٢) لاكتها : مضغتها.
(٣) أن تسيغها : أن تبتلعها.
(٤) لفظتها : طرحتها.
(٥) السعر (بضمتين وسكن للشعر) : الالتهاب.
(٦) الغليل : العطش، أو حرارة الجوف.
(٧) ترم : تبلى وتفتت.
(٨) الوقاع، الكثير الوقوع في الدنيا.
(٩) ملهاشميين، أراد : من الهاشميين، فحذف النون من (من) لالتقاء الساكنين، ولا يجوز الا في (من) وحدها لكثرة استعمالها. والزهر : البيض؛ الواحد : أزهر.
(١٠) الحسام : السيف القاطع. ويفري : يقطع.
(١١) شيب : أرادت شيبة. فرخمته في غير النداء. وضواحي النحر : ما ظهر من الصدر.

شعر لهند بنت عتبة أيضاً

« قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت عتبة أيضاً :

شَفَيْتُ من حَمزة نَفْسي بأُحد   حتى بَقَرْتُ بَطْنَهُ عن الكَبِدْ
أذْهَب عني ذاك ما كنتُ أجِد   من لَذْعة الحُزن الشَّديد المُعْتمِدْ[1]
والحَرب تَعْلوكم بشُؤْبوب بَرِد   تُقْدِم إقداماً عليكم كالأَسَدْ[2]

استنكار الحليس على أبي سفيان تمثيله بحمزة

« قال ابن إسحاق : وقد كان الحُليس بن زَبَّان، أخو بنو الحارث ابن عبد مناة، وهو يومئذ سيِّد الأحابيش، قد مرّ بأبي سفيان، وهو يضرب في شدْق حمزة بن عبد المطَّلب بزُجّ الرمح ويقول : ذُق[3] عُقَق؛ فقال الحُلَيس : يا بني كنانة، هذا سيِّد قريش يصنع بابن عمِّه ما ترون لحما[4]؟ فقال : ويحك! اكْتُمْها عني، فانها كانت زلَّة ».

شماتة أبي سفيان بالمسلمين بعد أُحد وحديثه مع عمر

« ثم إن أبا سفيان بن حرب، حيث أراد الانصراف، أشرف على الجبل، ثم صرخَ بأعلى صوته فقال : أنعمْتَ فعال[5]، وإن الحرب سِجال[6] يوم

---

(١) اللذعة : ألم النار، أو ما يشبه بها. والمعتمد : القاصد المؤلم.
(٢) الشؤبوب : دفعة المطر الشديدة. وبرد، أي ذو برد، شبهت الحرب بها.
(٣) ذق عقق، أراد ياعاق، فعدله إلى فعل.
(٤) لحما : أي ميتاً لا يقدر على الانتصار.
(٥) أنعمت فعال، أي بالغت؛ يقال : أنعم في الشيء، إذا بالغ فيه. قال أبو ذر. « أنعمت (بفتح التاء) يخاطب به نفسه.
(٦) السجال: المكافأة في الحرب وغيرها وأصله أن الساقيين على بئر يتساجلان يملأ هذا سجلاً. وهذا سجلا. والسجل : الدلو

بيوم، أعْلِ هُبَل[1]، أي أظْهر دينك؛ فقال رسول الله ﷺ: قُمْ يا عُمر فأجبه، فقل: الله أعلى وأجلّ، لا سواء[2]، قَتلانا في الجنَّة، وقتلاكم في النَّار. فلما أجاب عُمر أبا سفيان، قال له أبو سُفيان: هَلُمّ إليّ يا عمر، فقال رسولُ الله ﷺ لعُمر: ائته فانظر ما شأنُه؛ فجاءه، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمرُ، أقَتلنا محمداً؟ قال عمر: اللهمّ لا، وإنه ليسمع كلامَك الآن؛ قال: أنت أصدق عندي من ابن قَمئة وأبرّ؛ لقول ابن قمئة لهم: إني قد قتلت محمداً.

« قال ابن هشام: واسم ابن قمئة عبدالله ».

توعد أبي سفيان المسلمين

« قال ابن إسحاق: ثم نادَى أبو سفيان: إنه قد كان في قتلاكم مثل، والله ما رضيت، وما سَخطت، وما نهيتُ، وما أمرت.

« ولما انصرف أبو سُفيان ومن معه، نادى: إن موعدكم بدر للعام القابل؛ فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: قُلْ: نعم، هو بيننا وبينكم موعد ».

خروج علي في آثار المشركين

« ثم بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب، فقال: اخرُج في آثار القوم، فانظُر ماذا يَصنعون وما يُريدون فان كانوا قد جنَّبوا الخيل[3]، وامتطوا الإبل، فانهم يُريدون مكة، وإن ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل، فانهم يُريدون المدينة، والذي نفسي بيده، لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها، ثم

---

(١) هبل: اسم صنم.
(٢) لا سواء أي لا نحن سواء: أي لا نستوي
(٣) جنبوا الخيل: قادوها إلى جنوبهم.

لأناجزنهم قال عليّ : فخرجت في آثارهم أنظُر ماذا يصنعون؛ فجنَّبوا الخيل، وامتطوا الإبل، ووجَّهوا إلى مكة.. ».

أقول... هذا مشهد من مشاهد غزوة أُحُد... حيث قُتل مُصعب بن عُمير...

وجعل قاتله يصيح : قتلتُ محمداً؟!!

فماذا كان... وكيف صارت الأحداث؟!

رسول الله...
صلى الله عليه وسلم...
يقول...
« ادفنوهم حيث صُرِعوا »...؟!

فرغ الناس لقتلاهم...

فقال رسول الله... ﷺ :

« مَنْ رجلٌ ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع؟... أفي الأحياء هو أم في الأموات؟...

« فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سَعد...

« فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رَمق...

« قال : فقلت له : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظُر، أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال : أنا في الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام، وقل له : إن سعد بن الرّبيع يقول لك : جزاك الله عنَّا خير ما جزى نبيًّا عن أمته، وأبلغ قومكَ عني السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عُذْر لكم عند الله إن خلُص إلى نبيِّكم ﷺ ومنكم عينٌ تطرف. قال : ثم لم أبْرح حتى مات؛ قال : فجئتُ رسول الله ﷺ فأخبرته خبره.

« قال ابن هشام : وحدثني أبو بكر الزُّبيري : أنَّ رجلاً دخل على أبي بكر الصدّيق، وبنتٌ لسَعْد بن الرَّبيع جاريةٌ صغيرةٌ على صَدْره يرشُفها ويقبلها؛ فقال له الرجل : مَن هذه؟ قال : هذه بنتُ رجل خير مني، سعدِ بن الرّبيع، كان من النُّقباء يوم العقبة، وشهد بدراً، واستشهد يوم أُحُد ».

حزن الرسول على حمزة وتوعده المشركين بالمثلة

« قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله ﷺ، فيما بلغني، يلتمس حمزة ابن عبد المطلب، فوجده ببطن الوادي قد بُقر بطنه عن كبده، ومُثِّل به، فجُدع أنفه وأُذناه.

« فحدثني محمدُ بن جَعفر بن الزبير : أن رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى : لولا أن تحزن صَفيَّة، ويكون سُنَّة من بعدي لَتركته، حتى يكون في بطون السِّباع، وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في مَوطن من المواطن لأمثلنّ بثلاثين رجلاً منهم. فلما رأى المسلمون حُزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثِّلن بهم مُثلة لم يُمثِّلها أحد من العرب.

« قال ابن هشام : ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال : لن أُصاب بمثلك أبداً! ما وقفتُ موقِفاً قطّ أغيظ إليّ من هذا! ثم قال : جاءني جبريل فأخبرني أنّ حمزة بن عبد المطلب مكتوبٌ في أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب، أسد الله، وأسد رسوله.

« وكان رسول الله ﷺ وحمزة وأبو سَلَمة بن عبد الأسد، إخوة من الرضاعة، أرضعتهم مولاة لأبي لهب[1] ».

ما نزل في النهي عن المثلة

« قال ابن إسحاق : وحدثني بُريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن محمد بن كعب القرظي، وحدثني من لا أتهم عن ابن عبَّاس: أن الله عزّ وجل أنزل في ذلك، من قول رسول الله ﷺ، وقول أصحابه : ﴿**وَإنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمَثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصَّابرينَ. وَاصْبرْ وَمَا صَبْرُكُ إلاَّ باللهِ، وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ، ولاَ تَكُ فِي ضَيقٍ مِمَّا**

(١) اسمها ثويبة.

﴿يَمْكُرُونَ﴾ [النحل ١٢٦ ـ ١٢٧]، فعفا رسول الله ﷺ، وصبر ونهى عن المثلة.

« قال ابن إسحاق: وحدثني حُميد الطويل، عن الحسن، عن سَمُرة ابن جُندب، قال: ما قام رسول الله ﷺ في مقام قطّ ففارقه، حتَّى يأمرنا بالصَّدقة، وينهانا عن المُثلة ».

صلاة الرسول على حمزة والقتلى

« قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن مقسم، مولى عبدالله ابن الحارث، عن ابن عبَّاس، قال : أمر رسول الله ﷺ بحَمزة فسُجِّي[١] ببردة ثم صلَّى علي، فكبَّر سبعَ تكبيرات، ثم أتى بالقتلى فيوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة ».

صفية وحزنها على حمزة

« قال ابن إسحاق : وقد أقبلتْ فيما بلغني، صفيَّة بنت عبد المطَّلب لتنظر إليه، وكان أخاها لأبيها وأُمِّها، فقال رسول الله ﷺ لأبنها الزُّبير ابن العوّام : القَها فأرْجعها، لا تَرى ما بأخيها؛ فقال لها : يا أُمَّه، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، قالت : ولم؟ وقد بلغني أن قد مُثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسِبنّ ولأصبرن إن شاء الله، فلما جاء الزُّبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك؛ قال : خلّ سبيلَها، فأتته فنظرت اليه، فصلَّت عليه واسترجعت[٢]، واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله ﷺ فدُفن ».

---

(١) سجى : غطى.

(٢) استرجعت : قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون.

دفن عبدالله بن جحش مع حمزة

« قال : فزعم لي آلُ عبد الله بن جَحْش ـــ وكان لأميمة بنت عبد المطلب، حَمزة خالهُ، وقد كان مُثِّل به كما مُثل بحمزة، إلا أنه لم يُبْقر عن كَبِده ـــ أنّ رسول الله ﷺ دفنه مع حمزة في قبره، ولم أسمع ذلك إلا عن أهله ».

دفن الشهداء

« قال ابن إسحاق : وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة، فدفنوهم بها، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك، وقال : ادفنوهم حيث صُرعوا.

« قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مُسلم الزهريّ، عن عبدالله ابن ثعلبة بن صُعَير العُذري، حليف بني زُهرة : أن رسول الله ﷺ لمَّا أشرف على القتلى يوم أحد، قال : أنا شهيد على هؤلاء، إنه ما من جريح يُجرح في الله، إلا والله يبعثه يوم القيامة يَدْمى جرحُه، اللونُ لونُ دَمٍ والريحُ ريحُ مسك، انظروا أكثرَ هؤلاء جمعاً للقرآن، فاجعلوه أمام أصحابه في القبر ـــ وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد.

« قال : وحدثني عمِّي موسى بن يسار، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم ﷺ : ما من جريح يُجرح في الله إلا الله يبعثه يوم القيامة وجُرحه يدْمى، اللّون لون دم، والرّيح ريح مسك.

« قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار، عن أشياخ من بني سلمة : أن رسول الله ﷺ، قال يومئذ، حيث أمر بدفن القتلى : انظروا إلى عمرو بن الجموح، وعبدالله بن عمرو بن حرام، فانهما كانا متصافيين في الدنيا، فاجعلوهما في قبر واحد ».

زوجة مصعب حين علمت بقتله؟!

« قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً الى المدينة، فلقيته حَمنَة بنتُ جحش، كما ذُكر لي، فلما لقيت الناس نُعي إليها أخوها عبدالله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نُعي لها خالها حمزة ابن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له، **ثم نعي لها زوجها مُصعب ابن عُمير، فصاحت وَوَلْولت! فقال رسول الله ﷺ: إن زوج المرأة منها لبمكان!** لِما رأى من تَثَبُّتها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها ».

بكاء نساء الأنصار على حمزة

« قال ابن إسحاق: ومرّ رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظفر، فسمع البكاء والنَّوائح على قتلاهم، فذرفت عينا رسول الله ﷺ، فبكى، ثم قال : لكنّ حمزة لا بواكي له! فلما رجع سعدُ بن معاذ وأُسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزّمن، ثم يذهبن فيَبْكين على عمّ رسول الله ﷺ.

« قال ابن إسحاق : حدثني حكيم بن حكيم عن عبَّاد بن حُنيف، عن بعض رجال بني عبد الأشهل، قال : لما سمع رسول الله ﷺ بُكاءَهنّ على حمزة خرج عليهنّ وهنّ على باب مسجده يبكين عليه، فقال : ارجعن يرحمكنّ الله، فقد آسيتنّ[1] بأنفسكن.

« قال ابن هشام : ونُهي يومئذ عن النَّوْح.

« قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة : أن رسول الله ﷺ لما سمع بكاءهنّ، قال : رحم الله الأنصار! فان المُواساة منهم ما عتَّمت لَقَديمة، مُروهنَّ فلَينصرفن ».

---

(١) آسيّين : عزيتن وعاونتن، وأكثر ما يقال في المعونة.

شأن المرأة الدينارية

« قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عَون، عن إسماعيل ابن محمد، عن سَعد بن أبي وقاص، قال : مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أُصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحد، فلما نُعوا لها، قالت : فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا : خيراً يا أمّ فلان، هو بحمد الله كما تحبِّين؛ قالت : أرُونيه حتى أنظرُ إليه؟ قال : فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت : كلّ مُصيبة بعدك جَلَل! تُريد صغيرة.

« قال ابن هشام : الجلل : يكون من القليل، ومن الكثير، وهو ها هنا من القليل ».

خروج الرسول في اثر العدو ليرهبه

« قال : فلما كان الغدُ من يوم الأحد لستَّ عشرة ليلة مضتْ من شوّال، أذّن مؤذّن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدوّ، فأذَّنَ مؤذّنه أن لا يخرجنّ معنا أحدٌ إلا أحدٌ حضر يومنا بالأمس. فكلّمه جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام، فقال : يا رسول الله، إنّ أبي كان خَلَّفني على أخوات لي سَبع، وقال : يا بُنيّ، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نَتْرك هؤلاء النِّسوة لا رَجل فيهنّ، ولستَ بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي، فتخلَّف على اخواتك؛ فتخلَّفت عليهنّ. فأذِن له رسول الله ﷺ، فخرج معه. وإنما خرج رسول الله ﷺ مُرهباً للعدوّ، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم، ليظنوا به قوةً، وان الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم ».

مثل من استماتة المسلمين في نصرة الرسول

« قال ابن إسحاق : فحدثني عبدُالله بن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبي السائب مولى عائشة بنتُ عثمان : أن رجلاً من أصحاب رسول الله

ﷺ، من بني عبد الأشهل، كان شَهد أُحداً مع رسول الله ﷺ، قال: شهدتُ أُحداً مع رسول الله ﷺ، أنا وأخ لي، فرَجعنا جَريحين، فلما أذّن مؤذّن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدوّ، قلت لأخي أو قال لي: أتفوتُنا غَزوةٌ مع رسول الله ﷺ؟ والله ما لنا من دابّة نركبها، وما مِنّا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ، وكنت أيسرَ جرحاً، فكان إذا غُلب حملته عُقبةً[1]، ومشى عُقبةً، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ».

استعمال ابن أم مكتوم على المدينة

« قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد... وهي من المدينة على ثمانية أميال... واستعمل على المدينة ابن أمّ مكتوم...

« قال ابن إسحاق: فأقام بها الأثنين والثلاثاء والأربعاء... ثم رجع إلى المدينة... ».

كان يوم أُحد يوم محنة؟!

« قال ابن إسحاق: كان يوم أُحد يوم بلاء ومصيبة وتمحيص... اختبر الله به المؤمنين... ومحن به المنافقين... ممن كان يُظهر الايمان بلسانه... وهو مُسْتَخف بالكفر في قلبه... ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشّهادة من أهل ولايته ».

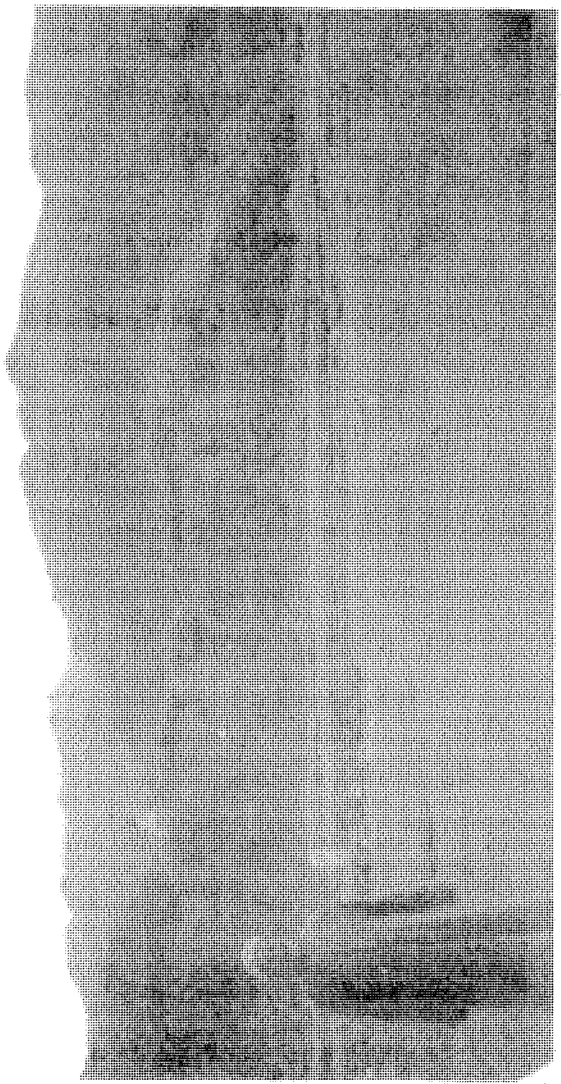
أقول... وقال رسول الله... ﷺ: « ادفنوهم حيث صُرعوا »...

وكان مُصعب بن عمير... منهم...

ودُفن رضي الله عنه... مع شهداء أُحُد... حيث صُرعوا!!!

---

(١) عقبة: من الاعتقاب في الركوب.



تحليل القرآن العظيم...
للغزوة التي استشهد فيها...
مُصعب بن عُمير...؟!

ذكر ما أنزل الله في أُحُد من القرآن

« قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطَّلبي، قال : فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أُحد من القرآن ستون آية من آل عِمْران، فيها صفة ما كان في يومهم ذلك، ومُعاتبة من عاتب منهم، يقول الله تبارك وتعالى لنبيِّه ﷺ : ﴿**وإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ المُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ لِلْقِتَالِ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾.

[آل عمران : ١٢١]

« قال ابن هشام : تبوّىء المؤمنين : تتخذ لهم مقاعد ومنازل.

« أي سميع بما تقولون، عليم بما تخفون.

﴿**إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا**﴾ [آل عمران : ١٢٢] : أن تتخاذلا، والطائفتان : بنو سلمة بن جُشم بن الخزرج، وبنو حارثة بن النَّبيت من الأوس، وهما الجناحان يقول الله تعالى : ﴿**والله وليُّهما**﴾ [آل عمران : ١٢٢] : أي المُدافع عنهما ما همَّتا به من فشلهما، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن أصابهما غير شكٍّ في دينهما، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته، حتى سَلِمتا من وهونهما وضعفهما، ولحقتا بنبيِّهما ﷺ.

« قال ابن هشام : حدثني رجل من الأسد من أهل العلم، قال : قالت

الطائفتان : ما نُحب أنَّا لم نهمّ بما هممنا به، لتولى الله إيانا في ذلك.

« قال ابن إسحاق : يقول الله تعالى : ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران : ١٢٢] : أي من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكَّل عليّ، وليستعن بي، أُعنهْ على أمره، وأُدافع عنه، حتى أبلغ به، وأدْفع عنه، وأقوّيه على نيّته. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وأنْتُمْ أذِلَّةٌ، فاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران : ١٢٣] : أي فاتّقوني، فانه شُكر نعمتي. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ﴾ وأنتم أقل عدداً وأضعف قوّة ﴿إذْ تَقُولُ للمُؤْمِنِينَ ألَنْ يَكْفِيَكُمْ أن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلٰثة ءَالٰفٍ مِنَ المَلٰئِكَةِ مُنْزَلِينَ. بَلى إن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ويأتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِم هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالٰفٍ مِنَ المَلٰئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران : ١٢٤ ــ ١٢٥] : أي إن تصبروا لعدوّي، وتُطيعوا أمري، ويأتوكم من وجههم هذا، أمُدّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين.

قال ابن هشام : مسوِّمين : مُعْلَمين.

﴿وَما جَعَلَهُ اللهُ إلاَّ بُشْرَى لَكُمْ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ، وما النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾ [آل عمران : ١٢٦] : أي ما سَمَّيت لكم من سَمَّيتُ من جنود ملائكتي إلا بُشْرى لكم، ولتطمئنّ قلوبكم به، لما أعرف من ضَعفكم، وما النَّصر إلا من عندي، لسُلْطاني وقُدرتي، وذلك أنّ العِزّ والحكم إليّ، لا إلى أحد من خَلْقي. ثم قال : ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفا مِنَ الَّذينَ كَفَرُوا أوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ﴾ [آل عمران : ١٢٧] : أي ليقطع طرفا من المشركين بقتل يَنتقم به منهم، أو يردّهم خائبين : أي ويَرْجع مَنْ بَقِي منهم فلاّ خائبين، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يأملون.

« قال ابن هشام : يَكْبِتهم : يغمُّهم أشدّ الغمّ، ويمنعهم ما أرادوا.

ويكبتهم (أيضاً) : يصرعهم لوجوههم.

« قال ابن إسحاق : ثم قال لمحمَّد رسول الله ﷺ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيءٌ، أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، أوْ يُعَذِّبَهُمْ فإنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٢٨] : أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي، إلا ما أمرتُك به

فيهم، أو أتوب عليهم برحمتي، فان شئتُ فعلت، أو أعذّبهم بذنوبهم فبحَقّي ﴿فإنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾ : أي قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إيَّاي ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحيمٌ﴾ [آل عمران : ١٢٩] : أي يغفر الذنب ويرحم العباد، على ما فيهم ».

النهي عن الربا

« ثم قال : ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرّبا أضْعافاً مُضَاعَفَةً﴾؛ أي لا تأكلوا في الإسلام، إذ هداكم الله به ما كُنْتم تأكلون إذْ أنتم على غيره، مما لا يحلّ لكم في دينكم ﴿واتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ : أي فأطيعوا الله لعلَّكم تَنْجُون مما حذّركم الله من عذابه، وتُدْركون ما رغَّبكم الله فيه من ثوابه، ﴿واتَّقُوا النَّارَ التي أُعِدَّتْ للكافِرينَ﴾ [آل عمران : ١٣٠ ــ ١٣١] : أي التي جُعلت داراً لمن كَفَر بي ».

الحض على الطاعة

« ثم قال : ﴿وأطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ لعلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ معاتبةً للذين عَصَوا رسول الله ﷺ حين أمرهم بما أمرهم به في ذلك اليوم وفي غيره. ثم قال : ﴿وَسَارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمَوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ للْمُتَّقِينَ﴾ : أي داراً لمن أطاعني وأطاع رسولي. ﴿الَّذينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، والكاظِمِينَ الغَيْظَ، والعافِينَ عَنِ النَّاسِ، واللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾ أي وذلك هوَ الإحسان، وأنا أُحبّ مَنْ عمل به، ﴿والَّذينَ إذَا فَعَلُوا فاحِشةً أو ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ، وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ اللهُ، وَلَمْ يُصِرُّوا على ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ : أي إن أتوا فاحشة، أو ظلموا أنفسهم بمعصية ذكروا نهي الله عنها، وما حرّم عليهم، فاستغفروه لها، وعَرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ : أي لم يُقيموا على مَعْصيتي كفِعل من أشرك بي فيما غَلَوْا به في كفرهم، وهم يَعلمون ما حرّمتُ عليهم

من عبادة غيري. ﴿أولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ خالِدينَ فيها، وَنِعْمَ أجْرُ العامِلِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٢ ـــ ١٣٦] : أي ثواب المُطيعين ».

ذكر ما أصابهم وتعزيتهم عنه

« ثم استقبل ذكر المُصيبة التي نزلت بهم، والبَلاء الذي أصابهم... واتخاذَه الشُّهداء منهم، فقال تعزيةً لهم، وتَعريفاً لهم فيما صنعوا، وفيما هو صانع بهم : ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلكُم سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأرْضِ فانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبينَ﴾ [آل عمران : ١٣٧] : أي قد مَضت مني وقائع نقمة في أهل التكذيب لرُسلي والشِّرك بي : عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين، فرأوا مَثُلات قد مَضت مني فيهم، ولمن هو على مثل ما هم عليه من ذلك مني، فاني أمليت لهم : أي لئلا يظنوا أنّ نقمتي انقطعتْ عن عدوّكم وعدوّي، للدولة التي أدلتهم بها عليكم، ليَبتليكم بذلك، ليُعلمكم ما عندكم.

« ثم قال تعالى : ﴿هَذَا بَيَانٌ للنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ : أي هذا تفسير للناس إن قبلوا الهدى ﴿وهُدًى ومَوْعِظَة﴾ : أي نور وأدب ﴿للمتقين﴾ أي لمن أطاعني وعرف أمري. ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا﴾ : أي لا تَضعفوا ولا تبتئسوا على ما أصابكم، ﴿وأنتُمُ الأعْلَوْنَ﴾ : أي لكم تكون العاقبة والظهور ﴿إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: أي إن كنتم صدّقتم نبيِّي بما جاءكم به عني. ﴿إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ : أي جراح[1] مثلها، ﴿وتِلكَ الأيّامُ نُداوِلُها بينَ النَّاسِ﴾ : أي نُصرّفها بين الناس للبلاء والتمحيص ﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنوا، وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ، وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ : أي ليُميز بين المؤمنين والمنافقين، وليُكرِم

---

(١) القرح (بفتح القاف) : الجراح.

من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة ﴿**والله لا يُحِبّ الظَّالِمِينَ**﴾ : أي المنافقين الذين يُظهرون بألسنتهم الطاعةَ وقلوبهم مُصرّة على المَعْصية ﴿**وليُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ : أي يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبَلاء الذي نَزل بهم، وكيف صَبرهم ويَقينهم﴿**وَيمْحَقَ الكافِرِينَ**﴾ [آل عمران : ١٣٨ ــ ١٤١] : أي يُبْطل من المنافقين قولَهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، حتى يظهر منهم كُفْرهم الذي يَستترون به ».

دعوة الجنة للمجاهدين

« ثم قال تعالى : ﴿**أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلوا الجَنَّةَ وَلمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾ : أي حسبتم أن تدخلوا الجنة، فتصيبوا من ثوابي الكرامة، ولم أختبركم بالشدّة، وأبْتليَكم بالمَكاره، حتى أعلم صِدْق ذلك منكم بالإيمان بي، والصبر على ما أصابكم فيّ، ولقد كنتم تمنَّون الشهادة على الذي أنتم عليه من الحقّ قبل أن تلقوا عدوّكم يعني الذين استنهضوا رسول الله ﷺ إلى خروجه بهم على عدوّهم، لما فاتهم من حُضور اليوم الذي كان قبله بِبَدر، ورغبةً في الشهادة التي فاتَتهم بها، فقال : ﴿**وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِنْ قَبْلِ أنْ تَلْقَوْهُ**﴾ يقول : ﴿**فَقَدْ رأيْتُمُوهُ وأنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾ : أي الموت بالسُّيوف في أيدي الرجال قد خلِّي بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم، ثم صدّهم عنكم. ﴿**وما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، أفإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ على أعْقابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ علىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شيئاً، وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران : ١٤٢ ــ ١٤٤] : أي لقَول الناس : قُتل محمد ﷺ، وانهزامُهم عند ذلك وانصرافهم عن عدوّهم ﴿**أفإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ**﴾ رجعتم عن دينكم كفَّاراً كما كنتم، وتركتم جهاد عدوّكم، وكتاب الله. وما خلَّف نبيُّه ﷺ من دينه معكم وعِندكم، وقد بين لكم فيما جاءكم به عني أنه ميت ومفارقكم، ﴿**وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ**﴾ : أي يرجع عن دينه ﴿**فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شيئاً**﴾ : أي ليس ينقص ذلك عزَّ الله تعالى ولا

مُلكه ولا سلطانه ولا قُدْرته، ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ : أي مَنْ أطاعه وَعمِل بأمْره ».

ذكره أن الموت بإذن الله

« ثم قال : ﴿وَمَا كانَ لِنَفْسٍ أنْ تَمُوتَ إلاَّ بإذْنِ اللهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً ﴾ : أي أن لمحمد ﷺ أجلاً هو بالغه، فإذا أذن الله عزّ وجلّ في ذلك كان. ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها، وَسَنجْزي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران : ١٤٥] : أي من كان منكم يريد الدنيا، ليست له رغبة في الآخرة، نُؤته منها ما قُسم له من رزق، ولا يَعْدوه فيها، وليس له في الآخرة من حظّ ﴿ومن يُرد ثواب الآخرة نُؤْته منها﴾ ما وُعد به، مع ما يُجزى عليه من رزقه في دُنياه، وذلك جزاء الشّاكرين، أي المتّقين ».

ذكر شجاعة المجاهدين من قبل مع الأنبياء

« ثم قال : ﴿وكأيِّنْ مِنْ نَبيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ، فمَا وَهَنُوا لِما أصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا ضَعُفُوا ومَا اسْتَكَانُوا، وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ أي وكأيِّن من نبيّ أصابه القتل، ومعه ربّيُّون كثير : أي جماعة، فما وَهَنوا لفَقْد نبيِّهم، وما ضعفوا عن عدوّهم، وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله تعالى وعن دينهم، وذلك الصبر، والله يُحبّ الصابرين ﴿ومَا كانَ قَوْلَهُمْ إلاَّ أنْ قالُوا رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ذُنوبَنا، وإسْرَافَنا في أمْرنا وَثَبِّتْ أقدامَنا، وانْصُرْنا على القَوْمِ الكافِرينَ﴾.

[آل عمران : ١٤٦ ـــ ١٤٧]

« قال ابن هشام : واحد الرِّبِّين : رِبِّي.

« قال ابن إسحاق : أي فقولوا مثل ما قالوا، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم، واستغفروه كما استغفروه، وامضُوا على دينكم كما مَضَوا على

دينهم، ولا تَرتدّوا على أعقابكم راجعين، واسألوه كما سألوه أن يُثبِّت أقدامكم، واستنصروه كما استَنْصروه على القوم الكافرين، فكل هذا من قولهم قد كان؛ وقَدْ قُتل نبيُّهم، فلم يفعلوا كما فعلتم، فآتاهم الله ثواب الدنيا بالظُّهور على عدوّهم، وحُسنَ ثواب الآخرة وما وَعد الله فيها، والله يحبّ المحسنين ».

تحذيره إياهم من إطاعة الكفار

﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعُوا الَّذِين كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلى أعقابِكم فَتَنْقَلِبُوا خاسِرينَ﴾ : أي عن عدوّكم، فتذهب دُنياكم وآخرتكم **﴿بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرينَ﴾**، فان كان ما تقولون بألسنتكم صدقاً في قلوبكم فاعتصموا به، وَلاَ تَسْتَنصروا بغيره، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدّين عن دينه. **﴿سَنُلْقِي في قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾** : أي الذي به كنتُ أنصركم عليهم. بما أشركوا بي ما لم أجعل لهم من حجَّة، أي فلا تظنوا أن لهم عاقبة نَصْر ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم بي، واتَّبعتم أمري، للمُصيبة التي أصابتكم منهم بذُنوب قَدَّمتموها لأنفسكم، خالفتم بها أمري للمعصية، وعصيتم بها النبيّ ﷺ. **﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُّونَهُمْ بإذْنِهِ، حتى إذَا فَشِلْتُمْ وَتنازَعْتُمْ فِي الأمْرِ، وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أراكُمْ ما تُحِبُّونَ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنيا، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيد الآخِرَةَ(١)، ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ، وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ، وَاللهُ ذُو فَضْلٍ على المُؤْمِنينَ﴾** [آل عمران : ١٤٩ ــ ١٥٢] أي وقد وفَّيت لكم بِما وَعَدْتكم من النصر على عدوّكم، إذ تحسُّونهم بالسُّيوف، أي القتل، بإذني وتَسْليطي أيديكم عليهم، وكفّي أيديهم عنكم.

---

(١) قال السهيلي : « قال ابن عباس : هو عبدالله بن جبير الذي كان أميراً على الرماة، وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم، ولا يخالفوا أمر نبيهم، فثبتت معه طائفة، فاستشهد واستشهدوا، وهم الذين أرادوا الآخرة، وأقبلت طائفة على المغنم وأخذ السلب، فكر عليهم العدو وكانت المصيبة ».

قال ابن هشام : الحسّ : الاستئصال : يقال : حَسَسْتُ الشيء : أي استأصلته بالسَّيف وغيره.

« قال ابن إسحاق : ﴿حتى اذا فَشِلتم﴾ : أي تخاذلتم ﴿وتنازعتم في الأمر﴾ أي اختلفتم في أمري، أي تركتم أمرَ نبيّكم وما عهد إليكم، يعني الرماة ﴿وعصَيتمْ مِنْ بَعْدِ ما أَرَاكُمْ ما تُحبون﴾ : أي الفتح، لا شكّ فيه، وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم، ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا﴾ : أي الذين أرادوا النهب في الدنيا وترك ما أُمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيْدُ الآخِرَةَ﴾ : أي الذين جاهدوا في الله، ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه، لعَرض من الدنيا، رغبة فيها، رجاء ما عند الله من حُسن ثوابه في الآخرة؛ أي الذين جاهدوا في الدين ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه، لعرض من الدنيا، ليختبركم، وذلك ببعض ذنوبكم، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك، أن لا يُهلككم بما أتيتم من مَعْصية نبيكم، ولكني عُدت بفَضلي عليكم، وكذلكَ ﴿مَنَّ اللهُ على المُؤْمِنين﴾ [آل عمران : ١٦٤] أن عاقب ببعض الذنوب في عاجلِ الدنيا أدباً وموعظة، فانه غيرُ مستأصل لكُلِّ ما فيهم من الحقّ له عليهم، بما أصابوا من مَعصيته، رحمةً لهم، وعائدة عليهم، لما فيهم من الإيمان.

تأنيبه إياهم لفرارهم عن نبيهم

ثم أنَّبهم بالفرار عن نبيِّهم ﷺ، وهم يُدعون لا يعطفون عليه لدُعائه إياهم، فقال : ﴿إذ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلي أحَدٍ، والرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ في أُخْرَاكُمْ، فأثابَكُمْ غَمًّا بغَمٍّ، لِكَيْلا تَحْزَنُوا على ما فاتَكُمْ ولا ما أصَابَكُمْ﴾ : أي كَرْبا بعد كرب، بقتل من قُتل من إخوانكم، وعُلو عدوكم عليكم، وبما وقع في أنفسكم من قول من قال قتل نبيكم، فكان ذلك مما تتابع عليكم غماً بغمّ؛ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم؛ من ظهوركم على عدوّكم، بعد أن رأيتموه بأعينكم، ولا ما أصابكم من قتل أخوانكم، حتى فرّجتُ ذلك الكربَ عنكم ﴿واَللهُ خَبِيرٌ بما تَعْمَلُونَ﴾: وكان الذي

فرّج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغمّ الذي أصابهم، أن الله عزّ وجلّ ردّ عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيِّهم ﷺ، فلما رأوا رَسول الله ﷺ حيًّا بين أظهرهم، هانَ عليهم ما فاتهم من القَوم بعد الظُّهور عليهم، والمُصيبة التي أصابتهم في إخوانهم، حين صرفَ الله القتلَ عن نبيِّهم ﷺ. **﴿ثُمَّ أنزلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً يَغْشى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، يَظُنُّونَ باللهِ غيرَ الحَقِّ ظَنَّ الجاهِلِيَّةِ، يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ، قُلْ إنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ، يُخْفُونَ في أَنْفُسِهِم ما لا يُبْدُونَ لَكَ، يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هَا هُنَا، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ في بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إلى مَضاجِعِهِمْ، وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ ما فِي صُدُورِكُمْ، ولِيُمَحِّصَ ما في قُلُوبِكُمْ، وَاللهُ عَلِيمٌ بذات الصُّدُورِ﴾** [آل عمران : ١٥٣ ــ ١٥٤]، فأنزل الله النعاسَ أمنةً منه على أهل اليقين به، فهم نيام لا يخافون، وأهلُ النِّفاق قد أهمّتهم أنفسهم، يظنُّون بالله غير[1] الحقّ ظنَّ الجاهليّة[2]، تخوّفَ القتل، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة، فذكر الله عزّ وجلّ تلاوُمَهم وحسرتهم على ما أصابهم. ثم قال الله سبحانه لنبيه ﷺ : **﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾** لم تحضُروا هذا الموطن الذي أظهر الله فيه منكم ما أظهر من سرائركم **﴿لَبرَزَ﴾** لأخرجَ **﴿الَّذينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إلى مَضاجِعِهِمْ﴾** إلى موطن غيره يُصرعون فيه، حتى يبتلى به ما في صدورهم **﴿وَلِيُمَحِّصَ ما في قُلُوبِكُمْ، واللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** : أي لا يَخْفَى عليه ما في صُدُورهم ممَّا استخفوا به منكم.

تحذيرهم أن يكونوا ممن يخشون الموت في الله

« ثم قال : **﴿يا أيها الَّذينَ آمَنوا لا تَكُونُوا كالَّذِينَ كَفَرُوا وقالُوا لإخْوَانِهِمْ إذَا ضَرَبُوا في الأَرْضِ أَوْ كانُوا غُزًّى، لَوْ كانوا عِنْدَنا ما**

---

(١) أي يظنون أن الله خاذل دينه ونبيه.

(٢) أي أهل الجاهلية كأبي سفيان وأصحابه.

ماتُوا ومَا قُتِلُوا، لِيَجْعَلَ اللهُ ذلكَ حَسْرَةً في قُلوبِهِم، واللهُ يُحْيِي ويُمِيتُ، واللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران : ١٥٦] : أي لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله، والضَّرْب في الأرض في طاعة الله عزّ وجل، وطاعة رسوله ﷺ، ويقولون إذا ماتوا أو قُتلوا : لو أطاعونا ما ماتوا وما قُتلوا **﴿لِيَجْعَلَ اللهُ ذلكَ حَسْرَةً في قُلُوبِهِمْ﴾** لقلَّة اليقين بربهم، **﴿وَاللهُ يُحْيِي ويُمِيتُ﴾** : أي يُعجِّل ما يشاء ويؤخر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته. قال تعالى : **﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ في سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ ممَّا يَجْمَعُونَ﴾** : [آل عمران : ١٥٧] أي إن الموت لكائن لا بدّ منه، فموتٌ في سبيل الله، أو قَتْل، خير لو علموا وأيقنوا مما يَجْمعون من الدنيا التي لها يتأخَّرون عن الجهاد، تخوف الموت والقتل لما جمعوا من زهرة الدنيا زهادةً في الآخرة **﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أوْ قُتِلْتُمْ﴾** أيّ ذلك كان **﴿لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ﴾** [آل عمران : ١٥٨] : أي أن إلى الله المرجع، فلا تغرنَّكم الدنيا، ولا تغترّوا بها، وليكن الجهاد وما رغَّبكم الله فيه من ثوابه آثر عندكم منها ».

ذكره رحمة الرسول عليهم

« ثم قال تبارك وتعالى : **﴿فَبِما رَحْمةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾** : أي لتركوك **﴿فاعْفُ عَنْهُمْ﴾** : أي فتجاوز عنهم **﴿واسْتَغْفِرْ لَهُمْ، وَشَاوِرْهُمْ في الأمْرِ، فَإذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ على اللهِ، إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ﴾** [آل عمران : ١٥٩] فذكر لنبيِّه ﷺ لِينه لهم، وصَبره عليهم، لضَعْفهم، وقلَّة صَبرهم على الغلظة لو كانت منه عليهم في كلّ ما خالفوا عنه مما افترض عليهم من طاعة نبيِّهم ﷺ. ثم قال تبارك وتعالى : **﴿فاعفُ عَنْهُمْ﴾** : أي تجاوز عنهم، **﴿واسْتَغْفِرْ لهمْ﴾** ذنوبهم، من قارف[1] من أهل الايمان منهم **﴿وشاوِرْهُمْ في**

---

(١) يقال : قارف الرجل الذنب : إذا دخل فيه ولابسه.

الأمْرِ﴾ : أي لتُريهم أنك تسمع منهم، وتَستعين بهم، وإن كنت غنياً عنهم، تألّفاً لهم بذلك على دِينهم **﴿فإذا عَزَمْتَ﴾** : أي على أمرٍ جاءك مني وأمر من دينك في جهاد عدوّك لا يُصلحك ولا يُصلحهم إلا ذلك، فامض على من أُمرتَ به، على خلاف من خالفك، ومُوافقة من وافقك، **﴿وتوكَّل على اللهِ﴾**، أي ارض به من العباد، **﴿إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتوَكِّلِينَ﴾**. **﴿إنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ، وَإنْ يَخْذُلْكُمْ فَمن ذا الذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾** [آل عمران : ١٦٠] : أي لئلا تترك أمري للناس وارفُض أمر الناس إلى أمري، وعلى الله لا على الناس، فليتوكل المؤمنون ».

ما نزل في الغلول

« ثم قال : **﴿وما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلَّ، وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيامَةِ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾** : أي ما كان لنبيّ أن يَكتم الناسَ ما بعثه الله به إليهم، عن رَهبة من الناس ولا رغبة، ومن يَفعل ذلك يأت يوم القيامة به، ثم يُجزى بكَسبه، غير مظلوم ولا معتدًى عليه **﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ﴾** على ما أحبّ الناسُ أو سَخطوا **﴿كمَنْ باءَ بِسَخَطٍ منَ اللهِ﴾** لرضا الناس أو لسخطهم، يقول : أفمن كان على طاعتي، فثوابه الجنّة ورضوان من الله كمن باء بسخط من الله واستوجب سخطه، فكان **﴿مأواه جَهَنّمُ وبِئْسَ المَصيرُ﴾** أسواء المثلان! فاعرفوا. **﴿هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللهِ، واللهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ﴾** [آل عمران : ١٦١ ـــ ١٦٣] لكلٍّ درجات مما عملوا في الجنة والنار : أي إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته ».

فضل الله على الناس ببعث الرسل

« ثم قال : **﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ على المُؤْمِنِينَ إذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسولاً مِن أنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ والحِكْمَةَ وَإنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾** : [آل عمران : ١٦٤] أي لقد منّ الله عليكم

يا أهل الإيمان، إذ بعث فيكم رسولاً من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثْتُم، وفيما عَملتم، فيعلّمكم الخير والشرّ، لتَعْرفوا الخير فتعملوا به، والشرَّ فتتقوه، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سَخط منكم من معصيته، لتتخلّصوا بذلك من نقمته، وتُدْركوا بذلك ثوابه من جَنَّته **﴿وَإِنْ﴾** كُنْتُمْ **﴿مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مَبِينٍ﴾** : أي لفي عَمياء من الجاهلية، أي لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيِّئة، صمّ عن الخير، بُكْم عن الحقّ، عُمْي عن الهدى ».

ذكره المصيبة التي أصابتهم

« ثم ذكر المصيبة التي أصابتهم، فقال : **﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قد أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ : أَنَّى هَذَا؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** : [آل عمران ١٦٥] أي إن تلك قد أصابتكم مُصيبة في إخوانكم بذُنوبكم فقد أَصَبْتُمْ مثليها قبلُ من عدوّكم، في اليوم الذي كان قبله ببدر، قتلاً وأسراً ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيّكم ﷺ، أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم **﴿إِنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** : أي إن الله على ما أراد بعباده من نِقْمة أو عفو قدير **﴿وَما أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ، وَلِيَعْلَمَ المُؤْمِنِينَ﴾** : أي ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوّكم فبإذني، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نَصْري، وصَدَقتكم وَعْدي، ليميز بين المؤمنين والمُنافقين، **﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾** منكم : أي ليظهر ما فيهم. **﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾** [آل عمران : ١٦٦ ـــ ١٦٧] : يعني عبدالله بن أُبيّ وأصحابه الذين رَجعوا عن رسول الله ﷺ، حين سار إلى عدوّه من المُشركين بأحد، وقولهم : لو نعلم أنكم تُقاتلون لسِرْنا معكم، وَلَدَفَعْنا عنكم، ولكنَّا لا نظنّ أنه يكون قِتال. فأظهر منهم ما كانوا يُخفون في أنفسهم. يقول الله عزّ وجلّ : **﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾** أي يُظهرون لك الإيمان وليس

في قلوبهم ﴿وَاللهُ أعلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ : أي ما يُخفون ﴿الَّذِينَ قالوا لإخْوَانِهِمْ﴾ الذين أُصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم : ﴿لَوْ أطَاعُونا ما قُتِلُوا، قُلْ فادْرَءُوا عَنْ أنْفُسِكُمُ المَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران : ١٦٧ ــ ١٦٨] : أي أنه لا بدّ من الموت، فان استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا، وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهادَ في سبيل الله، حرْصاً على البقاءِ في الدنيا، وفراراً من الموت ».

الترغيب في الجهاد

« ثم قال لنبيه ﷺ، يرغّب المؤمنين في الجهاد، ويهوّن عليهم القتل : ﴿وَلاَ تَحْسَبنَّ الَّذينَ قُتلُوا في سَبِيلِ اللهِ أمْوَاتاً بَلْ أحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِم يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا آتاهُمُ اللهُ من فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ألاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران : ١٦٩ ــ ١٧٠] : أي لا تظننّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً : أي قد أحييتهم، فهم عندي يُرزقون في رَوْح الجنة وفَضلها، مَسْرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه، ويَسْتبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خَلْفهم : أي ويُسَرون بلُحوق من لحقهم من إخوانهم على ما مَضَوْا عليه من جهادهم، ليَشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم، قد أذهب الله عنهم الخوفَ والحزنَ. يقول الله تعالى : ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ، وأنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجْرَ المُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٧١] لما عَايَنوا من وَفاء المَوْعود، وعظيم الثواب ».

مصير قتلى أُحد

« قال ابن إسحاق : وحدثني إسماعيل بن أُميَّة، عن أبي الزُّبير، عن ابن عبَّاس، قال : قال رسول الله ﷺ : « لمَّا أُصيب إخوانكم بأُحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خُضْر، تَرِد أنهارَ الجنَّة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قَناديل من ذهب، في ظلّ العرش، فلما وجدوا طيبَ

مشرَبهم ومأكلهم، وحُسْن مَقيلهم، قالوا : يا ليت إخوانَنا يعلمون ما صنع الله بنا، لئلا يَزْهدوا في الجهاد، ولا يَنْكُلوا[1] عن الحرب؛ فقال الله تعالى : فأنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله على رسوله ﷺ هؤلاء الآيات : ولا تحسبنّ... »

« قال ابن إسحاق : وحدثني الحارث بن الفَضيل، عن محمود بن لبيد الأنصاري عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله ﷺ :الشُّهداء على بارق نهر بباب الجنَّة، في قُبَّة خَضراء، يخرج عليهم رزقُهم من الجنَّة بُكرة وعشيًّا.

« قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن عبدالله بن مسعود أنه سُئل عن هؤلاء الآيات : ﴿**وَلاَ تَحْسَبنَّ الَّذِينَ قُتلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أمْواتاً بَلْ أحْياءٌ عندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ فقال : أما إنَّا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه لما أُصيب إخوانُكم بأُحد جعل الله أرواحَهم في أجْواف طير خضر، تَرِد أنهار الجنَّة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قَناديل من ذهب في ظلّ العرش، فيَطَّلع الله عزّ وجلّ عليهم اطِّلاعةً فيقول : يا عبادي، ما تَشْتهون فأزيدَكم؟ قال : فيقولون ربَّنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنَّة نأكل منها حيث شئنا! قال : ثم يطَّلع الله عليهم اطلاعةً، فيقول : يا عبادي، ما تشتهون، فأزيدكم؟ فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكلُ منها حيث شئنا! قال : ثم يطَّلع عليهم اطِّلاعة، فيقول : يا عبادي، ما تشتهون فأزيدكم؟ فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا. إلا أنا نُحبّ أن تردّ أرواحُنا في أجسادنا، ثم نُردّ إلى الدنيا، فنقاتل فيك، حتى نُقتل مرّة أخرى.

« قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ أصحابنا، عن عبدالله بن محمد ابن عقيل، قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول: قال لي رسول الله ﷺ:

---

(١) لا ينكلوا : أي لا يرجعوا هائبين لعدوهم، خائفين منه.

ألا أبَشِّرك يا جابر؟ قال : قلت : بلى يا نبيّ الله؛ قال : إنّ أباك حيث أُصيب بأُحد أحياه الله عزّ وجلّ، ثم قال له : ما تحبّ يا عبدالله بن عمرو أن أفعل بك؟ قال : أي ربّ، أحبّ أن تردّني إلى الدنيا فأُقاتل فيك، فأُقتل مرّة أخرى.

« قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن عُبيد، عن الحسن، قال : قال رسول الله ﷺ : والذي نَفْسي بيده، ما من مُؤْمن يُفارق الدنيا يُحبّ أن يرجع إليها ساعة من نهار، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد، فانه يحبّ أن يُردّ إلى الدنيا، فيُقاتل في سبيل الله، فيُقتل مرّةً أخرى ».

ذكر من خرجوا مع الرسول إلى حمراء الأسد

« قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿**الَّذينَ اسْتَجَابُوا للهِ والرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصَابَهُمُ القَرْحُ**﴾ : أي الجراح، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسولِ الله ﷺ الغد من يوم أُحد إلى حَمراء الأسد[1] على ما بهم من ألم الجراح : ﴿**لِلَّذينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ. الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ، فَزَادَهُمْ إيماناً، وَقالُوا حَسْبُنا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**﴾، والناس الذين قالوا لهم ما قالوا، النَّفر من عبد القيس، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال؟ قالوا إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم. يقول الله عزّ وجلّ : ﴿**فانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ، وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾ لما صرف الله عنهم من لقاء عدوّهم، ﴿**إنما ذلكم الشيطان**﴾، أي لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم ﴿**يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ**﴾ : أي يرهبكم بأوليائه، ﴿**فَلا تَخافُوهُمْ وَخافُونِ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَلاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ**﴾ : أي المنافقون ﴿**إنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شيئاً، يُرِيدُ اللهُ أَلاَّ يَجعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ، وَلَهُمْ عذاب عظيم. إنّ الَّذِينَ اشْتَرُوْا الكفْرَ**

(١) حمراء الأسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة، عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة.

بالإيمَانِ لنْ يَضُرُّوا اللهَ شيئاً ولَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ. وَلا يَحْسَبنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأنْفُسِهِمْ، إنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إثْماً ولَهُمْ عَذَابٌ مُهينٌ. ما كانَ اللهُ لِيَذَرَ المُؤْمِنينَ على ما أنتُمْ عَلَيْهِ حتى يَميزَ الخَبيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ : أي المنافقين ﴿ومَا كانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ على الغَيْبِ﴾ : أي فيما يُريد أن يبتليكم به، لتحذروا ما يدخل عليكم فيه ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي يعلمه ذلك ﴿فآمِنُوا باللهِ وَرُسُلِهِ، وَإنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ : أي ترجعوا وتتوبوا ﴿فَلَكُمْ أجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[آل عمران : ١٧٢ ــ ١٧٩]

أقول... هذا هو تحليل القرآن العظيم... لما حدث في غزوة أُحُد...

ولماذا كانت الهزيمة... بعد نصر محقَّق؟!

أثبتناه مفصَّلاً... لأنه جزء خطير... من حياة مُصعب بن عُمَير...

فهو حامل اللواء فيها...

وقاتل دونه... حتى سقط شهيداً...

فمن الذي قتله؟!

وكيف كان ذلك؟!

مَن هو...
قاتل مُصْعَب...
وكيف كان ذلك...؟!

أمَّا ابن هشام فيقول في ذكر من استشهد بأُحُد من المهاجرين...

من بني هاشم

« قال ابن إسحاق : واستُشهد من المسلمين يوم أُحُد... مع رسول الله... ﷺ... من المهاجرين... من قريش... ثم من بني هاشم بن عبد مناف :

« حمزة بن عبد المطلب بن هاشم... رضي الله عنه... قتله وحشيّ... غلام جُبير بن مُطعم... »

ثم يقول :

من بني عبد الدار

« ومن بني عبد الدار بن قُصيّ...

« مُصْعَب بن عُمير...

« قتله ابن قَمِئة الليثيّ... »

ثم ذهب يُعدِّد قتلى أُحُد من المهاجرين والأنصار... اسماً اسماً... حتى ذكرهم جميعاً... أولئك السبعين!!!

فقاتل حمزة عنده... هو ابن قمئة!!!

وأمَّا ابن الأثير فيقول :

« وقاتل مُصْعب بن عمير...

« ومعه لواء المسلمين...

« فقُتل...

« قتله ابن قمئة الليثيّ...

« وهو يظنّ أنه النبي... ﷺ...

« فرجع إلى قريش... وقال :

« قتلتُ محمّداً...

« فجعل الناس يقولون : قُتل محمّد... قُتل محمّد!!!

« ولما قُتل مصعب... أعطى رسول الله... ﷺ... اللواء عليّ بن أبي طالب... »

فقاتِل مُصْعب عنده... ابن قَمِئة...

وأمّا... ابن كثير... في تفسيره الشهير... فيقول في سياق تفسيره لقوله تعالى : ﴿إذْ تُصْعِدُونَ ولا تَلْوُونَ على أَحَدٍ والرسولُ يدْعوكُم في أُخْرَاكُمْ...﴾

[آل عمران : ١٥٣]

« وقال أبو الأسود

« عن عروة بن الزبير قال :

« كان أبيّ بن خلف ــ أخو بني جمح ــ قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله... ﷺ...

« فلما بلغت رسول الله... ﷺ... حلفته قال :

« بل أنا أقتله إن شاء الله »...

« فلما كان يوم أُحُد... أقبل أبيّ في الحديد مقنّعاً وهو يقول : لا نجوت إن نجا محمّد...

« فحمل على رسول الله... ﷺ... يريد قتله...

« فاستقبله مُصْعَب بن عُمَير ـــ أخو بني عبد الدار ـــ يقي رسول الله... ﷺ... بنفسه

« فقُتِل مُصْعَب بن عُمَير...

« وأبصر رسول الله... ﷺ... ترقوة أُبيّ بن خلف... من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة...

« وطعنه فيها بحربته...

« فوقع إلى الأرض عن فرسه...

« ولم يخرج من طعنته دم...

« فأتاه أصحابه... فاحتملوه وهو يخور خوار الثور...

« فقالوا له : ما أجزعك... إنما هو خدش؟!...

« فذكر لهم قول رسول الله... ﷺ... « بل أنا أقتل أُبيّا »...

« ثم قال : والذي نفسي بيده... لو كان هذا الذي بي بأهل الحجاز لماتوا أجمعون.

« فمات إلى النار (فسحقاً لأصحاب السعير)... »

ثم يقول ابن كثير في نفس الموضع :

« وذكر محمد بن إسحاق قال :

« لما أسند رسول الله... ﷺ... في الشعب...

« أدركه أُبيّ بن خلف وهو يقول : لا نجوت إن نجوت...

« فقال القوم : يا رسول الله... يعطف عليه رجل منا...

« فقال رسول الله... ﷺ : « دعوه »...

« فلما دنا منه... تناول رسول الله... ﷺ... الحربة من الحارث ابن الصمة...

« فقال بعض القوم ــ كما ذكر لي ــ فلما أخذها رسول الله... ﷺ... منه... انتفض بها انتفاضة... تطايرنا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انفض...

« ثم استقبله رسول الله... ﷺ... فطعنه في عنقه... طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً...

وقال الواقدي: وكان ابن عمر يقول: مات أُبيّ بن خلف ببطن رابغ... فإني لأسير ببطن رابغ... بعد هوى من الليل... فإذا أنا بنار تتأجّج لي... فهبتها...

« وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها... يهيج به العطش...

« وإذا رجل يقول: لا تسقه... فإن هذا قتيل رسول الله... ﷺ... هذا أُبيّ بن خلف ».

أقول... هذه الروايات لا تدل على أنّ أُبيًّا قتل مُصْعَباً... فغاية الأمر منها أن مُصْعباً تلقّى أُبيًّا... يقي رسول الله... ﷺ... منه...

حيث تقول الرواية « فقُتِل مُصْعَب بن عُمَير... »...

ويجوز أنه قُتِل بيد قاتل آخر غير أُبيّ...

فالرواية إذاً ليست نصًّا في أنّ أُبيًّا قتل مُصْعَباً!!!

هذه بعض أقوال الأقدمين في مقتل مُصْعَب... فماذا قال المعاصرون؟!

« أمّا الدكتور طه حسين... فيقول في « على هامش السيرة »:

« ويحمل مصعبُ لواء النبي في وقعة بدر فيعود به ظافراً منصوراً ويلقى مصعب في المدينة من الجهد والفقر ما يلقاه غيره من فقراء المسلمين، فيحتمل ذلك راضياً به باسماً له. حتى إذا كانت وقعة أُحُد تقدّم مصعب باللواء بين يدي النبي حتى يجد موقفه من مَيدان القتال فيثبت فيه. وتشتد

صدمة قريش للمسلمين فينكشفون ويتفرقون عن لوائهم. ولكن مصعباً أثبت قدَمه في الأرض، فهو لا يزول ولا يميل. ويُقبل عليه ابن قميئة (فارس من فرسان قريش) فيضرب يده بالسيف فيقطعها ويسقط اللواء، **فيأخذه مصعب بيده الأخرى ويجنأ**[1] **عليه. ويَكرّ عليه ابن قميئة فيقطع يده الأخرى، ولكن قدم مصعب ثابتة وهو لا يزول ولا يميل، وما زال اللواء مرفوعاً قد ضم عليه مصعب عَضُديه. ويكرّ ابن قميئة مرة ثالثة فينفذ الرمح في صدر مصعب، ويسقط مصعب ويسقط معه اللواء** فيتلقاه أخوه أبو الروم. وما يزال اللواء مرفوعاً حتى يبلغ المدينة.

« وقد انجلت قريش منتصرة عن ميدان القتال، وثاب المسلمون إلى الشهداء يوارونهم في قبورهم، فإذا مصعب قد خرّ على وجهه. ويهمّ المسلمون بدفنه فلا يجدون له كفناً، إنما هو ثوب رث قصير، إن أخفى رأسه أظهر رجليه، وإن أخفى رجليه أظهر رأسه، والنبي ﷺ يرى فيتلو قول الله عزّ وجلّ : **﴿مِنَ المؤْمنينَ رجالٌ صَدَقُوا مَا عاهدُوا اللهَ عَلَيه فمنهمْ مَنْ قَضى نَحْبهُ وَمنهمْ مَنْ يَنتظرُ ومَا بَدّلُوا تَبديلاً﴾**.

[الأحزاب : ٢٣]

ثم يأمر أن يغطى أعلاه بالثوب وأن يُلَف أسفله برطب الكلأ، ثم يقول : « إن رسول الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة ». ثم يُقبل على الناس فيقول : « أيها الناس زوروهم وأتوهم وسلموا عليهم، فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم مُسلم إلى يوم القيامة إلا ردُّوا عليه السلام ».

وأمَّا الدكتور النشار... فيقول في كتابه « شهداء الإسلام » :

« واشتعلت النار مرة أخرى في « أُحُد » وانتصر المسلمون أول النهار، لكن ما لبث أن نظر بعضهم إلى متاع الدنيا فهزموا، وكان « مُصْعب »

---

(١) يجنأ عليه : يكب عليه ليقيه.

يحمل لواء المسلمين فثبت به ثبوت الرواسي[1]. فأقبل ابن قميئة (فارس من قريش) فضرب يده اليمنى فقطعها و « مصعب » يقول :

﴿وَمَا مُحَمدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ...﴾.

[آل عمران : ١٤٤]

« وأخذ اللواء بيده اليسرى، وَجَنأ[2] عليه، فضرب يده اليسرى فقطعها، فجنأ على اللواء وضمه بعضدَيْه على صدره وهو يقول :

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ من قَبلِهِ الرُّسُلُ﴾.

« ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه وأندق الرمح، ووقع « مصعب » وسقط اللواء فابتدره رجلان من بني عبد الدار : سويبط بن سعد، وأبو الروم بن عمير، فأخذه أبو الروم، ووقف محمد رسول الله ﷺ على الشهداء يقرأ الآية :

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا ما عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْديلاً﴾.

[الأحزاب : ٢٣]

« ثم حمل إليه « مصعب بن عمير » فنظر إليه، وقد ذكر أيامه الماضيات في مكة فقال : لقد رأيتك بمكة، وما بها أحد أرق حُلَّةً ولا أحسن لِمَّةً منك، ثم أنت مُشَعَّثُ الرأس في بُرْدة، ثم أمر به أن يُقْبَر، فنزل إلى قبره أخوه « أبو الروم بن عمير » و « عامر بن ربيعة » و « سويبط ابن أسعد بن حرملة ».

« وكانت تلك هجرته الأخيرة في الأربعين سنة، إلى الله ورسوله.

* * *

« فتحت البلدان على المسلمين، وملكوا العالم بأجمعه، وفي حلقة من

---

(١) الرواسي : الجبال.

(٢) جنأ : أكب عليه ليحميه.

حلقات مسجد النبي صلوات الله وسلامه عليه وقف « خبّاب بن الأرت » يقول : هاجرنا مع النبيّ ﷺ نلتمس وجه الله، فوجب أجرنا على الله، فمنا من مات لم يأكل من أجره شيئاً، منهم « مصعب بن عمير »، ومنهم من أينعت له ثمرته فهو يهد بها. قتل يوم أُحُد فلم نجد ما نكفنه فيه إلا بردة، إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه، فأمرنا النبي ﷺ أن نغطي رأسه وأن نجعل عليه من الإذخر »

وأمّا عبد السلام العشري... فيقول في كتابه « صاحب اللواء — مُصْعَب بن عُمَير » :

« رأى قائدُ فرسان المشركين، خطأ الرُّماة في ترك أماكنهم، فعاد بخيله ورجاله، وقتلوا من بَقِي منهم، وفتحوا الثُّغرة[1] التي كان يسدُّها الرماة وراء ظهور المسلمين، وانحدروا إليهم، وأسرع بعضُهم إلى علَمهم فرفعوه، ونادوا الفارِّين فأسرعوا عائدين، وانقلب الميزان.

« ولما رأى المسلمون جيشَ المشركين المنحدرَ إليهم، أسرعوا إلى سيوفهم ورماحهم، واندفعوا إلى الكفار بكل قوّتهم وبسالتهم.

لكنَّ الصَّدْمة كانت شديدةً، وقد انكشف ظهرهم وتمكن الكفارُ منهم، فجعلوا يتساقطون قَتْلَى على أرض أُحد، والمشركون يخوضُون في دمائهم، ورسول الله يضربُ، ومصعبٌ يرفع اللواء، ويُنادي بالثَّبات، ويضربُ قلوبَ المشركين.

« وانفتحَ باب الجنة أمام المسلمين، فحَمِيَتْ سيوفُهم، وجعلت تشق صدور الكافرين، وتُطِيحُ برءوسهم.

« لكنَّ عددَ الكفار كان كبيراً، كلما فَنِي فريقٌ نزل إلى المعركة غيرهُ، وأخذ المسلمون يتساقطون، والمشركون يصيحونَ طالبين رأسَ محمَّدٍ، وخُناسُ من خلفهم تطلبُ رأسَ مصعب معَهُ.

---

(١) الفتحة.

« ولم يفكر المسلمون في الفِرار، ورأوا النبيّ صابراً صامداً، ووجدوا الكفار يوجِّهون إليه سهامَهم وضرباتهم، فالتّفُّوا حوله، ومال عليه مصعبٌ يحميه من السهام والأسنةِ، لا يبالي بالسيوفِ التي تنوشُه، ولا بالسهام التي تضربُ ظهره، يصيحُ كلما أصابه سهم أو ناله سيف : بأبي أنت وأمي يا رسول الله! لن يَصلوا إليك ومصعبٌ يَتَنَفَّسُ!

« واستمرَّ يُقاومُ الضَّرباتِ، ويردُّ عن رسول الله بصدره وقلبهِ،

« حتى أثقلته السهام والرِّماح، ثم أصابه سهمٌ نافذٌ، فخرَّ صريعاً بجانب رسول الله!

« ولما رآه المشركون حَسِبوه الرَّسول، فارتفعت صيحاتُهم في فرح :

ــ قتلنا محمداً!! قتلنا رسولَهم!!

« فانطَلَقَتْ أغانيهم، ودقَّت دُفوفُهم، وتعانَقوا، وتبادلوا التَّهاني، ثم صاح أبو سفيان قائد جيشهم ينهي المعركة، لا يشك في أنَّهم قتلوا رسول الله، وقال بصوت مرتفع شامت :

ــ اعْلُ[1] هُبل! يومٌ بيوم بدر!

« فدقَّت الطبول، وانطلقت الزغاريدُ، وساروا عائدينَ إلى مكة ».

« أقول... الواضح الآن بعد سرد روايات الأقدمين والمعاصرين... أن قاتل مُصعب... هو ابن قَمِئَة ــ أو ابن قميئة ــ الليثيّ...

« والله أعلم؟!

---

(١) ارتفع.

شخصيّة...
مُصْعَب...
ابن عُمَيْر...؟!

رجُل؟!

« وقف رسول الله... ﷺ...

« على مصعب بن عمير...

« وهو مُنجعفٌ (مصروع) على وجهه...

« يوم أُحُدِ شهيداً...

« وكان صاحب لواء رسول الله... ﷺ...

« فقال رسول الله... ﷺ :

﴿مِنَ المؤمنينَ رجالٌ﴾...

﴿صَدَقُوا ما عاهَدوا الله عليهِ﴾...

﴿فمنهُم مَن قَضَى نَحْبَهُ﴾...

﴿ومنهم مَن يَنْتَظِر﴾...

﴿وما بَدَّلُوا تبديلاً﴾...

[الأحزاب : ٢٣]

« إن رسول الله يشهد عليكم أنكم شهداءُ عند الله يوم القيامة...

« ثم أقبل على الناس فقال :

« ائتوهم... فزوروهم... وسلّموا عليهم...

« فوالذي نفسي بيده... لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا رَدُّوا عليه السلام »!!!

ها هنا مفتاح شخصية مُصْعَب...

﴿مِنَ المؤمنينَ رجالٌ﴾؟!

ما معنى « رجالٌ »؟!

أي رجال بلغوا الغاية من الرجولة والكمال...

أي : أبطال!!!

وحين وقف ﷺ على مُصعب وهو مصروع على وجهه... وقال هذه الآية...

كان ذلك إشارة الى الناس جميعاً... إلى يوم القيامة : أنّ مَن أراد أن يرى صورة رجل بلغ الغاية من كمال الرجولة وكمال البطولة... فلينظر إلى هذا المنجعف على وجهه!!!

بطل؟!... أكرم بطل؟!!

وأشرف بطل؟!!

وأغلى... وأرقى... وأعلى... بطل؟!!

سيدي مُصْعَب... يا أغلى الأبطال... وأشرف الرجال...

هنيئاً لك... شهادة رسول الله... ﷺ :

« إن رسول الله... يشهد عليكم... أنكم شهداءُ... عند الله... يوم القيامة... »!!!

رفعت اللواء... سيدي... فقطعوا يدك... فتأخذه بيدك الأخرى... ويكرّ عليك ابن قمئة... فينفذ الرمح في صدرك... فتسقط؟!!!

ولن يسقط اللواء... فقد حمله من بعدك عليّ... وما أدراك ما عليّ؟!!

السلام عليكَ ورحمة الله وبركاته... سيدي مُصْعَب...

امتثالاً لقول رسول الله... ﷺ :

« أيها الناس... ائتوهم... فزوروهم... وسلّموا عليهم... فوالذي نفسي بيده... لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة... إلا ردُّوا عليه السلام »!!!

وتأمَّل هنا... « إلى يوم القيامة »... إنها تشير إلى شيء خطير؟!!

أن هؤلاء السبعين... قتلى أُحد... هم سادة الناس الى يوم القيامة...

لماذا؟!!

لأنهم بذلوا كل شيء... ليفتحوا للناس جميعاً... السبيل الى الله...

فهم أشرف الناس... وأكرم الناس... وسادة الناس!!!

ليتني سيدي أشرفُ... حين ترُدُّ عليَّ سلامي...

أقول حين أزورك... في مقبرة « الشهداء » بالمدينة المنورة... حيث ترقدون... السلام عليكم...

وتقولون : وعليكم السلام...

فأبلغ بها الثريّا!!!

عبد الرحمن بن عوف... يبكي...
عندما تذكّر عظمة مصعب؟!

« عن سعد بن إبراهيم...

« عن أبيه إبراهيم...

« أنَّ عبدَ الرحمن بن عوْفٍ...

« أُتِيَ بطعامٍ وكان صائماً فقال :

« قُتِلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ...

« وهو خيرٌ منِّي...

« كُفِّنَ في بُرْدَةٍ...

« إنْ غُطِّيَ رأسُهُ بَدَتْ رجلاهُ...

« وإن غُطِّيَ رجلاهُ بَدَتْ رأسُهُ...

« وأراهُ قال: وقتِل حمزة وهو خيرٌ منِّي...

« ثم بُسِطَ لنا من الدنيا ما بُسطَ...

« أو قال: أعْطينا من الدنيا ما أعطَينا...

« وقد خشينا أن تكونَ حسناتُنا عُجِّلَتْ لنا...

« ثم جعلَ يبكي حتى تركَ الطعامَ ».

[أخرجه البخاري في صحيحه]

لماذا يبكي عبد الرحمن بن عوف؟!

لعله بكى وبكى حتى ترك طعامه رغم صيامه... حين تذكر عظمة مصعب في مشاهد موته كلها!!!

مشهد دفاعه عن رسول الله... ﷺ... حتى قُتِل...

ومشهد أخذه اللواء بعضديه... بعد قطع يمينه ويُسراه...

ثم مشهد تكفينه... إذا غُطِّي رأسه بدت رجلاه... وإذا غُطِّي رجلاه بَدَت رأسه...

ومن هو هذا الذي يُصنع به هذا؟... هو أغنى وأعطر فتى كان في قريش!!!

عظمة في الحياة... وعظمة في الممات!!!

اجعلوا على رِجْلهِ الإِذْخِرَ؟!

« عن خبَّابٍ... رضي الله عنه... قال :

« هاجرنا مع رسول الله... ﷺ... نبتغي وجهَ اللهِ...

« فوجَبَ أجرُنا على اللهِ...

ومِنَّا مَنْ مضى أو ذهبَ لم يأكلْ من أجرهِ شيئاً...

« كان منهم مصعَبُ بنُ عُمَيرٍ...

« قُتِلَ يومَ أُحُدٍ...

« لم يترك إلا نمرَةً...

« كُنَّا إذا غَطينا بها رأسَه خرجَتْ رجلاَهُ!!!

« وإذا غُطِّيَ بها رجلاهُ خرجَ رأسُهُ!!!

« فقال لنا النبيُّ... ﷺ : غَطوا بها رأسَهُ... واجعلوا على رجلهِ الإِذْخرَ...

« أوْ قال : القُوا على رجلِهِ من الإِذخرِ...

« ومِنَّا من قد أينعت له ثمرتُه فهو يَهدِبُها ».

[أخرجه البخاري في صحيحه]

« يهدبها » من هدب الثمرة... اذا اجتناها.

ذلكم مُصعب؟!!

وذلكم مشهد تكفينه!!!

أبى الله إلاَّ أن يرفعه حيًّا... ويرفعه ميْتاً... ويرفعه تكفيناً!!!

ليعلم الناس إلى يوم القيامة... مَنْ مُصْعَب بن عُمَير؟!!!

قُتِل ابن أربعين سنة؟!

جاء في شرح البخاري للإمام العيني :

« **مصعب بن عمير...**

« **يكنى أبا عبدالله...**

« **كان من أجلة الصحابة وفضلائهم...**

« **وكان رسول الله... ﷺ... قد بعثه إلى المدينة قبل الهجرة بعد العقبة الثانية يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين...**

« **وكان يدعى القارئ والمقرئ...**

« **ويقال انه أول من جمع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة.**

« **وقتل يوم أُحُد شهيداً... قتله ابن قمئة الليثيّ فيما قال ابن إسحاق...**

« **وهو يومئذ ابن أربعين سنة أو أزيد شيئاً...**

« **وأسلم بعد دخول رسول الله... ﷺ... دار الأرقم...**

« **وكان بلغه أن رسول الله... ﷺ... يدعو الى الاسلام في دار الأرقم...**

« **فدخل وأسلم وكتم اسلامه خوفاً من أمّه وقومه...**

« **وكان يختلف الى رسول الله... ﷺ... سراً...**

« **فبصر به عثمان بن طلحة يصلي... فأخبر به قومه وأمّه...**

« **فأخذوه فحبسوه...**

« **فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى أرض الحبشة... وهاجر الى أرض الحبشة في أول من هاجر اليها... ثم شهد بدراً »...**

والتركيز هنا على فقرة « وقُتلَ يوم أُحُد... وهو يومئذٍ ابن أربعين سنةً »؟!!

فما معنى هذا؟!

معناه أنَّ مُصعب بن عمير... قُتِل وهو في تمام الشباب قوة ونضارة وبهجة وجمالاً...

لم يمنعه شبابه وجماله... أن يبذل حياته في سبيل الله!!!

كما بذل من قبل ماله... ونزل عنه في سبيل الله!!!

ثم ماذا؟!!

ثم نتذكر أنّ مصعب بن عمير... أسلم في فترة الاستخفاء في دار الأرقم...

فلو فرضنا أنه أسلم في السنة الثانية من البعثة... فمعنى هذا أنه مكث نحواً من أحد عشر عاماً مسلماً في مكة...

وإذا أضفنا إلى هذا أنه قُتل يوم أُحُد... وأنَّ غزوة أُحد كانت في السنة الثالثة من الهجرة في شوال منها أي قرب نهاية تلك السنة... نفهم من ذلك أنَّ مصعب مكث نحو ثلاث سنين بالمدينة حتى استشهد في سن الأربعين...

خلاصة ذلك أن مصعب مكث في الاسلام ١١ سنة في مكة + ٣ سنة في المدينة أي مجموع حياته مسلماً أربعة عشر عاماً...

أي أنه أسلم في نحو السادسة والعشرين تقريباً باعتبار أنه استشهد في الأربعين...

فما معنى هذا؟!

معناه أنه أسلم... شاباً...

وعاش في الإسلام... شاباً...

واستشهد... شاباً...

أي أنه كان في زهرة العمر... حيث الرغبة في الدنيا والاستمتاع بها... ومع هذا كله... ومع وجود أسباب النعيم والمتعة بين يديه... لفظها... وقال: إني ذاهب إلى ربِّي!!!

أنا شهيدٌ على هؤلاء؟!

« عن جابر بنِ عبدِ اللهِ.. رضي الله عنهما.. قال :

« كان النبيّ.. ﷺ.. يجمعُ بين الرجُلَين من قَتلى أُحُدٍ في ثوبٍ واحدٍ.. ثم يقولُ :

« أيُّهُم أكثرُ أخذاً للقرآن؟..

« فإذا أُشيرَ له إلى أحدِهِما قَدَّمَه في اللَّحْدِ.. وقال :

« أنا شهيدٌ على هؤلاء يومَ القيامةِ..

« وأمرَ بدفنهِم في دمائِهِم..

« ولم يُغَسَّلوا.. ولم يُصَلِّ عليهم ».

[أخرجه البخاري في صحيحه]

أقول.. وشهد النبيّ.. ﷺ.. على قتلى أُحُد.. وكان منهم مُصْعب ابن عُمير!!!

أنا شهيد عليكم؟!

« عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ..

« أنَّ النبيّ.. ﷺ.. خرج يوماً..

« فصلَّى على أهْلِ أُحُدٍ صلاتَهُ على الميِّتِ..

« ثم انصرف إلى المنبرِ فقال :

« إنّي فَرَطٌ لكم..

« وأنا شهيدٌ عليكُم..

« وإنّي واللهِ لأنظُرُ إلى حوضِي الآنَ..

« وإنّي أُعطيتُ مفاتيحَ خزائنِ الأرضِ...

« أو مفاتيحَ الأرض...

« وإنّي واللهِ ما أخافُ عليكم أن تُشركوا بعدي ولكنْ أخافُ عليكم أن تنافسوا فيها ».

[أخرجه البخاري في صحيحه]

« إنّي فَرَطٌ لكم » سابقكم إليه...

« لأنظر إلى حوضي » كأنه كشف له عنه في تلك الحالة...

« فيه أنه... ﷺ... قد صلّى على أهل أُحُد بعد مدة... فدلّ على أن الشهيد يصلي عليه... واليه ذهب أبو حنيفة »...

أقول... وصلّى عليهم... رسول الله... ﷺ... بعد مدة من استشهادهم...

اشارة الى عظيم مقامهم عند الله...

وكان منهم مُصعب بن عمير!!!

هذه الآيات نزلت... في مُصعب وأصحابه؟!

قال تعالى:

﴿ولا تحسَبَنَّ الذين قُتِلُوا في سبيلِ اللهِ أمواتاً بلْ أحياءٌ عندَ ربِّهمْ يُرْزَقُونَ﴾.

﴿فرِحِينَ بما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلهِ ويَستبشرونَ بالذينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِن خَلْفِهِمْ ألاَّ خوفٌ عليهم ولا هُمْ يَحْزَنون﴾

﴿يَستَبشرونَ بنعمةٍ مِنَ اللهِ وفَضْلٍ وأنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجْرَ المؤمنين﴾.

[آل عمران ١٦٩ — ١٧١]

« قال الإمام أحمد...

« عن أنس... أن رسول الله... ﷺ... قال :
« ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أن ترجع إلى الدنيا...
« إلا الشهيد...
« فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا...
« فيقتل مرة أخرى...
« مما يرى من فضل الشهادة ».
« قال الإمام أحمد...
« عن ابن عباس... قال :
« قال رسول الله... ﷺ :
« لما أصيب إخوانكم يوم أُحُد...
« جعل الله أرواحهم... في أجواف طير خضر..
« ترد أنهار الجنة...
« وتأكل من ثمارها...
« وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش...
« فلما وجدوا طيب مأكلهم... ومشربهم... وحسن مقيلهم قالوا :
« يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا... لئلا يزهدوا في الجهاد... ولا ينكلوا عن الحرب...
« فقال الله عزّ وجلّ : أنا أبلغهم عنكم...
« فأنزل الله هذه الآيات ﴿ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل اللهِ أمواتاً بل أحياءٌ عندَ رَبهم يُرزقون﴾ ـ وما بعدها ».
« وروى الحاكم...
« عن سعيد بن جبير...

« عن ابن عباس... قال :

« نزلت هذه الآية... في حمزة وأصحابه ﴿ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل اللهِ أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقونَ﴾...

« ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ».

« وكذلك قال قتادة والربيع والضحاك... أنها نزلت في قتلى أُحُد ».

أقول... وأيّ فضل هو أعظم... أن تنزل هذه الآيات... في حمزة وأصحابه من شهداء أُحُد؟!

وهل كان مُصْعَب إلا أحد هؤلاء؟!!!

ماتَ... ولم يترُك إلاَّ ثوباً؟!!

« عن خَبَّاب قال :

« هاجَرْنا مع رسول الله... ﷺ... نبتغي وجه الله..

« فوَقَعَ أجرُنا على اللهِ...

« فمنَّا من ماتَ ولم يأكُلْ من أجرهِ شيئاً...

« ومنَّا مَن أينَعَتْ له ثمرَتُهُ فهو يَهْدِبُها...

« وإنَّ مُصْعَبَ بنَ عُمَيْر...

« ماتَ ولم يترُكْ إلاَّ ثوباً...

« كانوا إذا غطَّوْا بهِ رأسَهُ... خرجتْ رجلاهُ...

« وإذا غُطِّيَ بها رجلاه خَرَجَ رأسُهُ...

« فقالَ رسولُ الله... ﷺ :

« غَطُّوا رأسَهُ...

«واجْعَلُوا على رِجْلَيْهِ الإذْخِرَ».

[أخرجه الترمذي... وقال حسن صحيح]

وهذا مِسك الختام...

من شخصيّة مصعب بن عمير...

التي تعزُّ على الأفهام!!!

مَقام...
مُصْعَب...
ابنُ عُمَيْر...؟!

هو صاحب مقام رفيع..

ومَلِكٌ من ملوك الآخرة...

عاش أربعين سنة... الثلثان في ضياع الجاهلية...

والثُلث الأخير (من السادسة والعشرين إلى الأربعين أو نحو ذلك) في فوز عظيم!!!

نحو ١٤ سنة... هي كل عُمْر مصعب في الإسلام!!!

ولكن العُمر لا يحتسب بعدد السنين... وإنما بما تمَّ فيه من جلائل الأعمال!!!

كان من السابقين... بل من أسبق السابقين...

سبق الى الإسلام... فكان أحد الأربعين الأوائل...

وسبق الى الهجرة الى الحبشة...

وسبق إلى الهجرة إلى المدينة..

وسبق إلى غزوة بدر العظمى... فكان صاحب اللواء فيها...

وسبق الى غزوة أُحُد... فكان صاحب لواء رسول الله... ﷺ... فيها... وقاتل دون اللواء... حتى سقط ذراعاه... فاحتمله بعضديه... حتى سقط شهيداً... على وجهه!!!

فأي سبق هو أعظم من سبق مصعب؟!!

وأي شهادة هي أكرم من شهادة مُصْعَب؟!

بل وسَبَق في كفنه... فلم... يجدوا إلا الإذْخرِ... ليستروا به رجليه!!!
يريد الله أن يجعله سابقاً أبداً... في أحوال حياته... وأحوال مماته!!!

وتلك مقامات يرقى إليها مُصْعَب... جزاء إخلاصه العجيب!!!

سمع برسول الله... ﷺ... فأسرع إليه... فلما أشرقت شمس الإسلام في قلبه... ألقى بمباهج النعيم كلها وراء ظهره... وانقلب مؤمناً متكاملاً... ومثالاً فذًّا للمسلم الصحيح!!!

وأعني بالمسلم الصحيح... ذلك الذي يأخذ الإسلام كله... ولا يأخذ بعضه دون بعض...

ويُعتبر مُصْعَب بن عمير... المثال الصحيح... للمسلم الصحيح...

حياته... وما يملك... كلها لله!!!

أمَّا أمواله الوافرة... فألقاها وراء ظهره... غير عابئ بتهديد أُمِّه وأخيه...

وأمَّا أرستقراطية القرشيين... فلا وزن لها عنده... وإنما إخوته هم إخوة الدعوة الجديدة... لا إخوة هؤلاء الجبَّارين!!!

وكان مقامه رفيعاً عظيماً... حين وقع عليه اختيار رسول الله... ﷺ... ليذهب مع وفد العقبة... الى المدينة... يفقههم في الدين!!!

فهو رائد الإسلام في المدينة... وحسبه إسلام سعد بن مُعاذ على يديه!!!

فأي مقام هو أعظم من مقام مَن مَهَد المدينة لمقدم رسول الله... ﷺ؟!!

وارتفع مقامه أكثر فأكثر... حين لازم رسول الله... ﷺ...

وحين خرج بين يديه يحمل لواء بدر!!!

وحين دفع ﷺ... إليه اللواء في أُحُد!!!

ثم ارتفع مقامه أعلى فأعلى... حين خرَّ في دمائه الزكية... شهيداً على مشهد من رسول الله... ﷺ!!!

ثم رفعه الله تعالى... الى مقام أعلى وأعلى...

حين مات ولم يترك إلا ثوباً!!!

كانوا إذا غَطَّوْا به رأسه خرجت رجلاه!!!

وإذا غُطِّي بها رجلاه خرج رأسُه!!!

فقال رسول الله... ﷺ : غَطُّوا رأسه... واجعلوا على رجليه الإذخِر!!!

هنالك بلغ مُصْعَب أعلى ما قَدَّر الله له من رفيع المقام!!!

فاللهم... صلِّ... وسلِّم... وبارك... على هذا النبيّ العظيم...

وارضَ اللهم... عن مُصْعَب بن عُمَيْر...

وسائر الأصحاب الأكرمين... آمين!!!

فهرس

صفحة

ماذا في هذا الكتاب ؟!

فيه حياة مَن وقف رسول الله... ﷺ... عليه وهو مصروع على وجهه... يوم أُحدٍ شهيدا... وكان صاحب لواء رسول الله... ﷺ... فقال رسول الله... ﷺ: ﴿مِنَ المؤمنينَ رِجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه... فمنهم مَن قضى نَحْبَهُ... ومنهم مَن ينتظِر... وما بَدَّلوا تبديلا﴾... إن رسول الله يشهَدُ عليكم أنكم شهداءُ عند الله يوم القيامة. ثم أقبل على الناس فقال: «أيها الناس... ائتوهم فزوروهم... وسلموا عليهم... فوالذي نفسي بيده... لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردُّوا عليه السلام».

فيه «حياة مُصْعَب بن عُمَيْر»!!!